



إلى الجيل الصاعد



أحمد بن يوسف السيد

إلى الجيل الصاعد



إلى الجيل الصاعد

أحمد بن يوسف السيد

إلى الجيل الصاعد

أحمد بن يوسف السيد

الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ/٢٠١٩م



Business center 2 Queen
Caroline Street, Hammersmith,
London W6 9DX, UK

www. Takween-center.com
info@Takween-center.com

تصميم الغلاف :



+966 5 03 802 799
المملكة العربية السعودية – الخبر
eyadmousa@gmail.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة



مقدمة

أثارت رسالةٌ ـ من بين آلاف الرسائل الواردة إليّ ـ قلقًا كبيرًا واهتمامًا خاصًّا في نفسي، أرسلَها شاب وصف نفسه بأنه من الجيل الصاعد، بث فيها شجنه وقلقه المعرفي والفكري بعد أن وصف جيله بعبارات مختصرة كاشفة عن مدى الاختلاف الرهيب بين الجيل الصاعد والجيل السابق.

فاستولت تفاصيلُ الرسالة والأسئلةُ التي تضمنَتْها على ذهني وجالَتْ في فكري وترددَتْ على خاطري، وقد قرأتُ في ثناياها زفرات بين الحروف، وقلقًا بين الجُمَل، ويأسًا بين العبارات؛ كما أنني أدركتُ أن هذه الأسئلة ليست خاصة بحالة السائل، بل تعم كثيرًا من أترابه ولِدَاته من الجيل الصاعد شبابًا وشواب.

وقد تبدو هذه الأسئلة ـ لدى بعض القراء ـ عادية أو تَرفِيَـةً إلا أنني أرى فيها خلاف ذلك، بل إني حين قراءتها

كنتُ على سفر ضيق الوقت، لكني لم أستطع تأجيل الجواب أو طرد السؤال عن ذهني، فأخذت أتصور ملامح الجواب ثم أكتبه، ولم أرجع من سفري إلا وقد سجلت المقطع المرئي الأول الذي تناولت فيه صفحات متعددة مرتبطة بالرسالة مما يهم الجيل الصاعد، كسؤال الهوية، وإشكال الفوضى المعرفية، وقضية الصحبة والزواج والتعبد والتزكية وغير ذلك، وقد صادف المقطعُ ـ بتوفيق الله تعالى ـ اهتمامًا كبيرًا من الفئة المستهدفة، ثم تتابعَتْ سلسلة المقاطع على إثره تحت عنوان «**إلى الجيل الصاعد**» حتى بلغَت ثمانية مقاطع، في أربع ساعات تقريبًا.

ومع كل تعليق يكتبه متابعو المقاطع أزدادُ قناعة بأهمية الموضوع وحساسيته وخصوصيته البالغة، ولأجل ذلك رأيت ألا أكتفي بالمقاطع المرئية بل أحرر كتابًا يكون مرجعًا للجيل الصاعد في أهم التحديات التي تواجههم.

ومما لا شك فيه أنه لا يمكن استيعاب كل مشكلات الجيل الصاعد في كتاب مختصر، ولكن يمكن بناء المنهجية المعينة على التفكير بطريقة صحيحة، وضرب الأمثلة الكثيرة لتكون نماذج صالحة للقياس، كما يمكن تناول القضايا ذات التأثير الكبير على حياة الإنسان العلمية والإيمانية والاجتماعية والأخلاقية، وهذا كله ما حرصتُ على تناوله في هذا الكتاب، سائلًا الله تعالى البركة، والتسديد، والقبول، ودوام النفع.

وقبل أن أبدأ بموضوعات الكتاب سأنقل لكم نص سؤال الأخ الكريم، الذي كان سبب كل هذا المشروع.

وقد التمس مني الأخ المُرسِل ألا أذكر اسمه كاملًا، وأن أكتفي باسمه الأول: (طلال).

فماذا قال طلال في رسالته؟

نص الرسالة
التي نتج عنها مشروع الجيل الصاعد

قال طلال:

«أنا أنتمي إلى جيل كثيرٌ منا كانت حياته واهتماماته ترفيهية تافهة ـ أنمي، ألعاب، أفلام، كرة، إلخ ـ وكان ضعيفًا دينيًّا ـ بل أكثر ـ فمنّا من لم يكن يصلي إلا الجُمَع ـ إن صلّى ـ ومعرفيًّا «جهلٌ مركب شنيع»، ولم تكن له أهداف يسعى لها، يهيم في الحياة.

لم ينشأ هذا الجيل في حِلَق التحفيظ، وآخر عهده بالقراءة كتب موسوعية في طفولته، أو روايات في مراهقته، فجأة صارت أمامه خطط في شتى العلوم، يواجهها بما أعقبه نظام حياته السابق من خورٍ في الهمة ومن مشاكل حقيقية في التركيز (attention)، فيقرأ قليلًا من هذا الكتاب وينقطع، ويريد مشاهدة سلسلة محاضرات عن موضوع ما، ويسجّل في

برنامج علمي وبرنامجين وثلاثة، وغير ذلك مما تعرفونه من الشكاوى التي يبثّها للناس.

يعاني في الانضباط، وهذا لانعدام الصورة الواضحة لما يريده من المعرفة، فلا هدفٌ ولا مَصبّر، وكثيرٌ منّا مرضى نفسيّون (الاكتئاب **depression** خصوصًا) فهذا جانب آخر يسترعي الانتباه.

وهذا الجيل فيه خير عظيم، ذكي وعنده نية صالحة ورغبة في التغيير نحو الأفضل، ويقدر على الصبر بإذن الله، لكنه في حاجة إلى التوجيه والمساعدة، وفي حاجة إلى العناية والرعاية.

وأنا لما سلكت هذه السبيل ـ يقصد سبيل البرامج العلمية المفيدة ـ كسرَني فشلي في تحقيق مرادي، وأعقبني ذلك خوفا يشلّني. علميًّا الآن أنا منقطع تمامًا، أوقفتُ جميع برامجي العلمية المنظمة، صونًا لنفسي من تعذيبها فيما لا ـ أظن ـ منه طائلًا.

أمرّ بفترة لو قيل لي: صفها بكلمة، اخترت لفظة «ضياع». سؤال المليون دولار كما يقال: كيف أعرف من أنا، ومن أرغب أن أكونه؟ كيف أقشع هذا الضباب الذي من حولي حتى تتضح رؤيتي وتصوري عن مستقبلي وعن علاقتي بالمعرفة والعلم، كيف أعرف ما أحب وما أجيد؟

في انتظار إجابتك وفقنا الله وإياك».

انتهت الرسالة.

يا إلٰهي! هل أثارت فيكم ما أثارتْ فيّ؟

هل أعدتم قراءتها مرارًا كما فعلتُ؟

هل كوّنَت لديكم ربطًا بين الصور المتفرقة من هنا وهناك بين شبكات التواصل؟

حقًّا إنها رسالة ذات طابع خاص جدًّا؛ ولذلك جاء الجواب عنها في هذا الكتاب، لا بطريقة الرد على كل كلمة في الرسالة، بل بمعالجة أسس المشكلات التي تضمَّنَتْها، وتناول أهم الموضوعات بتفصيل وتحليل.

ما بين
الجيل الصاعد والجيل السابق والجيل العائر

إن مما لا شك فيه أن هناك اختلافات حقيقية وفروقات نوعية بين الجيل الصاعد والجيل الذي سبقه ـ من ناحية الاهتمامات، وطريقة التفكير، وطبيعة التدين، والخلفياتِ المؤثرة في النظر للقضايا ـ.

وإذا أردنا أن نحدد فاصلًا زمنيًّا بين الجيلين، فلا بد أن نراعي أنّ التحديد الزمني الدقيق الذي يرصد التغيرات الفكرية والاجتماعية يُعَدُّ أمرًا شائكًا مُعقّدًا يتّسم بالتركيب والتداخل، ولا تنفع فيه الحَدّية، إلا أنه يمكننا الجزم بأن ظهور الأجهزة الذكية ثم شبكات التواصل إضافة إلى تطور الألعاب الالكترونية: يعتبر الحدث الأبرز في صناعة التغييرات الفكرية والنفسية لدى الجيل الصاعد؛ مع عدم إغفال تأثير الحروب والأوضاع السياسية في بعض البلدان في السنوات الأخيرة.

وبناءً على ذلك؛ فإذا أردنا أن نقرب الملامح الزمنيّة للجيلين «الصاعد والسابق» ـ ونحن اليوم في عام ١٤٤٠ للهجرة الموافق عام ٢٠١٩ للميلاد ـ، فيمكننا القول بأنّ أبناء الجيل الصاعد هم من وُلدوا بعد عام (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) باعتبار أن مرحلة مراهقتهم كانت في بدايات ثورة الاتصالات والأجهزة الالكترونية.

وأن الجيل السابق هم من ولدوا في ثمانينات القرن العشرين (أي ما بين عام ١٤٠٠هـ إلى ١٤٠٩هـ) فهم ـ ومن قبلهم ـ قد حَكَمَتْهم عوامل تربوية وفكرية واجتماعية مغايرة.

وبقيت طبقة عائرة[١] بين الجيلين، يجتذبها الطرفان، فتجد بعض أبنائها ينزِع إلى الجيل السابق ـ وخاصة الذين تربوا في الحلقات القرآنية والمكتبات والدروس العلمية ـ وبعضهم ينزع إلى الجيل الذي يليه ممن سبقت إليهم التقنية قبل غيرهم، ولم يكن عندهم مغذيات فكرية وتربوية أخرى.

ويمكننا المقاربة في قياس مرحلة الجيل العائر لنقول إنهم من ولدوا ما بين (١٤١٠ إلى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٠م إلى ١٩٩٧م تقريبًا).

---

(١) عائرة: كلمة وردَت في حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٨٤) من حديث ابن عمر مرفوعًا إلى النبي ﷺ: «**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة**». ومعنى عائرة: أي: حائرة مترددة كما بينه شراح الحديث.

وكل ما سبق إنما هو على وجه المقاربة لا الحَدّية، وعلى اعتبار الأغلب لا على وجه الكلية والعموم، فإن من السابقين من تأثر بمؤثرات الجيل الصاعد حتى غيّرته كليًّا، كما أن من أبناء الجيل الصاعد من توفرت له ظروف نشأة خاصة حجبت عنه أو خفّضت عوامل التأثير المحيطة به.

ولعل من أبرز معالم الاختلاف بين الجيلين التي حدثت بسبب شبكات التواصل وأشدها تأثيرًا: (تغيّر مصادر المعرفة) بحيث صار ابن الجيل الصاعد يتلقى جُلّ معلوماته وأفكاره ـ بل ورؤيته للمجتمع والدين والحياة ـ عبر عشرات المصادر المختلفة التي ينفذ إليها من شاشة هاتفه الجوال، وكثير من هذه المصادر لا يصلح لأن يكون مصدرًا للمعرفة الصحيحة المنضبطة، كما أن هناك تأثيرات جانبية خطرة حدثت بسبب طبيعة التفاعل مع المعلومات في شبكات التواصل: كتشتُّت الذهن، وسرعة الملل، وتعوّد النظر إلى التافهين، والانجذاب للأضواء الإعلامية، والركون إلى المعلومات السريعة «المُعلّبة». غير أن أشد صور الإشكال في هذا العالم الافتراضي الفسيح هي تصدر المتعالمين، وتقدّم التافهين، وبروز السفهاء الذين يقودون دفة التوجيه غير المباشر للجيل الصاعد، وجرأة الجاهلين على الدين والشريعة.

كما أن مما يُلاحظ على الجيل الصاعد، أنه قد بدأ يتفشى فيه انعدام المعلومات الثقافية الإسلامية الأولية،

كالمواقف الأساسية في السيرة النبوية، وأبرز قصص التاريخ الإسلامي وأحداثه الكبرى، إضافة إلى بعض المعلومات الأساسية المتعلقة بالتاريخ الحديث؛ كقضية فلسطين وما يرتبط بها.

ولأجل ذلك كله، فإن هذه القضية تتطلب اهتمامًا بالغًا، والتفاتًا جادًّا، ممن يعنيهم شأن شباب المسلمين من الآباء والمربين والمعلمين، بل ومن أبناء الجيل الصاعد نفسه، فهم يجب أن يتحمّلوا مسؤولية جيلهم كذلك.

ويأتي هذا الكتاب متوجهًا لأبناء الجيل الصاعد ببعض القضايا التربوية والإيمانية والسلوكية والاجتماعية التي يحتاجون إليها، إضافة إلى أنه يخاطب من سميتهم «الجيل العائر» أيضًا، غير أنني أنبه إلى أن الكتاب إنما هو موجّه لمن التفت منهم إلى نفسه متسائلًا باحثًا ناظرًا مهتمًّا بمستقبله الديني والمعرفي والنفسي، لا إلى من هو غارق في بحر الملهيات، معرضًا عن الارتقاء والاهتمام بنفسه ودينه.

وأما الجيل السابق ـ الذي أنتمي إليه ـ فهو وإن لم يكن مقصودًا بهذا الكتاب ابتداءً إلا أن بعض ما في الكتاب يفيدهم في توجيه من يمكنهم توجيهه من الجيل الصاعد؛ فالكتاب موجه كذلك إلى المربين والآباء والمعلمين من جهة التنبيه إلى بعض ما يشغل الجيل الصاعد ويُشكل عليهم، ومن جهة الإجابات عن هذه المُشكلات.

وقد رتبت رسائل هذا الكتاب كما يلي:

١ ـ لا تخش الفشل.

٢ ـ سؤال الهوية.

٣ ـ تحدي الإيمان والثبات.

٤ ـ التفكير بين النقد والشك.

٥ ـ مشكلة القدوات.

٦ ـ رباعية التميز للنخبة.

٧ ـ الفوضى المعرفية وترتيب الأوراق.

٨ ـ أهمية معرفة الجيل الصاعد للسياق التاريخي الحديث.

٩ ـ تحدي الشهوة والحب والزواج.

١٠ ـ الهداية والاستقامة.

(١)
لا تخش الفشل

كثيرًا ما يمتنع أفراد متميزون من سلوك طرق المعالي؛ بسبب خوفهم من عدم تحقيق نتائج كاملة، ومن ثم الشعور بالفشل والإحباط لعدم بلوغ الكمال.

وهذه السِّمة وإن كانت موجودة في كثير من السابقين إلا أنها تتكاثر في الجيل الصاعد بصورة واضحة، وهذا أمر في غاية الخطورة؛ لأن الأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى المبادرات والمشاريع الاستثنائية التي تتطلب إقدامًا وجسارة وعدم تهيب للفشل.

وسعيًا في تفكيك بعض الأمور الملتبسة المتعلقة بهذه القضية فسأذكر خمس خطوات تعين على تجاوز بعض الإشكالات فيها.

الخطوة الأولى: أعد تعريف الفشل:

كثيرٌ مما يعتبره الناس فشلًا وخيبةً وخسرانًا لا يكون في الحقيقة كذلك، بل قد يكون على العكس من ذلك نجاحًا ورشادًا وفلاحًا.

ولو تأملتَ قصة نوح عليه السلام مع قومه لوجدتها من أفضل ما يعيد تعريف الفشل لدى الإنسان، فقد قال الله سبحانه وتعالى عنه عليه السلام: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠]، مع أنه مكث ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعو قومه ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا بشتى الطرق والوسائل؛ بالجدل والحجة والموعظة، ثم كانت النتيجة: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ [نوح: ٦].

يا إلٰهي! بعد هذا كله ازدادوا نفورًا وفرارًا وإعراضًا!

ولكن: هل فشل نوح عليه السلام في أداء رسالته؟

هل أضاع وقته سدًى؟

إن نجاحه ـ في الحقيقة ـ لم يكن مرتبطًا بعدد من أسلموا معه وآمنوا، بل بكونه بذل الجهد واتبع الأمر وبلغ الرسالة وجاهد في إيصالها بأفضل الوسائل وصبر وصابر، ثم بعد ذلك لا يضره أنهم لم يستجيبوا، فهو لم يقصر، ولم يتوانَ، وقد كان العيب منهم؛ فهم إذًا الفاشلون الذين جاءتهم فرصة السعادة والنجاة فكفروا بها ورفضوها!

وأما نوح عليه السلام فقد نال وسام: «أولي العزم من الرسل» الذين أوصى الله نبيّه محمدًا ﷺ بسلوك طريقهم، قائلًا له: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ومن يتأمل في النصوص الشرعية سيجد تأكيدًا على هذا المفهوم في آيات وأحاديث كثيرة.

فنحن بحاجة ـ إذًا ـ إلى الانفكاك عن المفهوم المادي الضيق والمختزل للنجاح، وإعادة تعريفه ليتوافق مع التصور الإسلامي للحياة؛ فهذا يسهل الكثير من الأمور في مسيرة الإنسان، ويزرع في نفسه طمأنينة يعلم من خلالها أن ليس عليه إلا سعيه، وأن واجبه هو بذل أقصى جهده، فيدرك ببذله ذلك أنه نجح؛ سواء تحققت الغاية التي سعى لأجلها أم لا. ففي نهاية المطاف الأمور بيد الله عز وجل ماضية وفق تقديره.

الخطوة الثاني: التهوين من أثر الإخفاق:

لنفترض أنَّ أحدَنا عمل مبادرةً نافعة أو انضم إلى برنامج علميّ كبير، أو ابتدأ بخطة تطويرية لنفسه، ثم قصّر أو كسل أو فتر أو لم يحقق أي ثمرة ولو كانت صغيرة من خلال هذا العمل، فكان ماذا؟!

كم أتعجب من الذين يستسلمون سريعًا لإخفاقاتهم، وييأسون بعد أول محاولة.

إن الذي يطمح إلى المعالي، ويرغب في تحقيق إنجاز كبير في حياته فليُطلّق اليأس طلاقًا بائنًا لا رجعة فيه، ولْيصاحِب الأمل، ويُصادِق العزيمة، ويُرافِق الإصرار.

الخطوة الثالثة: توسيع دائرة الاهتمامات والنظر إلى الآخرة مع الدنيا:

إن من يجعل طموحه منحصرًا في نطاق لا يتجاوز الإطار المادي الملموس الذي يحيط به؛ فإن آماله قد تتحطم سريعًا؛ لأن الدائرة المحيطة به صغيرة ضيقة، فإذا فقد بعض مكتسباته فيها فسيشعر أنه فقد شيئًا كبيرًا، أو أنه خسر كل شيء، بينما كان عليه أن يوسع دائرة اهتماماته، ويرفع سقف طموحاته، وأن يدرك مكانه الحقيقي في هذه الحياة، وأن ينظر بعينين: عين للدنيا وعين للآخرة، وأن يتيقن أنه مهما حصل من نقص في هذه الدنيا فهناك دار أمامه لا كدر فيها ولا نصب؛ فيكون ذلك بمثابة العزاء الذي يعين النفس على الصبر وتحمل إخفاقات الطريق.

فإذا فشل في إحدى الدوائر الضيقة المحيطة به لم يمنعه ذلك من التطلع إلى الدائرة الأبعد، هناك إلى الجنة وسعتها ونعيمها.

وهذه التوسعة في النظرة ليست بالنظر للآخرة فقط، وإنما تشمل النظر للدنيا كذلك، فالحياة لا تنتهي عند موقف

أو تجربة، بل هي أوسع من ذلك بكثير، ومن ينظر للمستقبل تهون عليه مصيبة الحاضر.

الخطوة الرابعة: السعي إلى تحقيق النتائج الجيدة لا إلى الكمال التام:

النقص صفة بشرية، ومن الجيد أن يسعى الإنسان إلى التقليل من آثارها دائمًا، ولكن لا ينبغي له تعليق النجاح والفلاح على الخلو التام من النقص؛ إذ إن هذا لا يمكن أن يتحقق دائمًا.

ووجه الإشكال في تطلب الكمال التام هو أن الإنسان قد يمتنع عن المساهمة في كثير من المبادرات النافعة، والمشاريع الطيبة ـ حتى مع احتياج الناس إليه ـ وذلك بسبب عدم ثقته بالنتائج، وخوفه من وجود النقص، وهذا هو ما أحذر منه بالضبط.

وأما السعي لتحقيق أفضل النتائج، مع الحرص على الإتقان، والتخطيط، وتجنب السلبيات= فهذا كله من الأمر الحسن، والعمل الصالح إن شاء الله تعالى.

ومما يفيد في تصور هذا المعنى، قول النبي ﷺ: «**إذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثم أَصابَ فله أَجْرَان، وإذا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثم أَخْطَأَ فله أَجْرٌ**»[1]، فالأجر متحقق هنا لمن شهد له

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢).

النبي ﷺ بأنه أخطأ، وذلك لأنه بذل ما عليه، واجتهد، فأصاب الأجر وإن لم يصب في الحكم، مع أن هذا في مقام خطر وهو مقام الحكم بين الناس الذي تتعلق به حقوقهم وأموالهم، وهذا يؤسس لحرص الشريعة على الاجتهاد وبذل الأسباب أكثر من حرصها على كمال النتائج وتمامها.

الخطوة الخامسة: ارسم خطة لنفسك واجعل فيها مؤشرات للنجاح:

مما يُكسب الإنسان الثقة، ويبعث فيه الأمل: شعورُه بالإنجاز.

وهذا الإنجاز حين يكون مخططًا له ثم يتحقق على وفق ما خُطط فإن الفرح به يزداد، وآثاره تكون أكبر من الإنجاز غير المخطط له.

ويبدو أن كثيرًا من الراغبين في التميز يقعون في فخّ الخطط المعقدة، أو المثالية، مع وجود عقدة الكمال لديهم من الأصل، فيدفعهم ذلك إلى ترك التخطيط في حال الإخفاق ولو لمرة واحدة.

بينما المطلوب منا أن نضع خطة معقولة متوقعة النجاح، ونكتبها على مراحل، مع كل مرحلة يكون المرء قد حقق شيئًا من الإنجاز والنجاح.

مثلًا: تُقسَّم الخطة السنوية إلى أربعة أقسام، كل ربع

سنة تسعى فيه لتحقيق عدة أهداف ـ كقراءة عشرة كتب مثلا ـ، ثم تُقسِّم هذه الأهداف إلى مراتب: أهداف واجبة ضرورية، وأهداف مستحسنة من الجيد تحقيقها، وأهداف تكميلية لا يضر تركها، ثم لتُعطِ لنفسك درجة معينة للنجاح في تطبيقها تقارب نسبة (٨٠٪) وليس (١٠٠٪)، وهذه الواقعية تجعل تحقيق الأهداف قريبًا ممكنًا، لا بعيدًا مستحيلًا، كما أنها تعطي المرء ثقةً بقدرته على التخطيط والجدولة والإنجاز المنظم.

وتذكّر دائمًا أنّ الكمال عزيز، وأن المطلوب منّا الاجتهاد وبذل الأسباب، وأن كثيرًا من الناس يحرمون الخير الكثير لتهيبهم خوض غمار المعالي بسبب خوفهم من الإخفاق والفشل.

(٢)
سؤال الهوية

لقد تضمن سؤال «طلال» الذي عرضته في أول الكتاب موضوعات متعددة، من أهمها الأسئلة التالية: من أنا؟ ومن أكون؟ وما الذي ينبغي أن أكونه؟ ويمكننا أن نلقب هذه التساؤلات بقلق الهوية، أو أسئلة الهوية، وهي من القضايا التي يعاني منها كثير من أبناء الجيل الصاعد، فكيف يمكن الجواب عنها؟

لا شك أن استقصاء موضوع الهوية يتطلب كتابًا مستقلًّا يتناوله من جهاته بشكل متكامل، ويمكن أن أذكر بعض الإشارات المعينة على الجواب عن الأسئلة الكبرى للهوية لا الصغرى والجزئية.

أولًا: لا هوية للمسلم قبل فهم مبدأ العبودية وغاية الوجود:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩].

هل سبق أن تأملت في معنى نسيان الإنسان نفسه؟

ألا تشعر بأنها جُملة معبرة عن التيه والغفلة الشديدة والغبن والخسران؟

إنّ نسيان هؤلاء القوم لأنفسهم ليس بعدم اعتنائهم بمظاهر صورهم ومأكولاتهم ولذاتهم، فكل الفاسقين يعتنون بذلك، ولكن نسيانهم أنفسهم هو في عدم إدراكهم لغاية وجودهم ومن ثم تفريطهم فيما يصلح عاقبتهم، فيبتعدون عن التزام مقتضى العبودية، فتكون النتيجة كما وصف الله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ فيعيشون فاسقين خارجين عن النظام الذي يصلح نفوسهم ويزكيها، فهذه عقوبتهم في الدنيا، ثم هم في الآخرة من الخاسرين.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى، في تفسيره لهذه الآية[١]: «يعطي لفظ هذه الآية، أن من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه تعالى، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية (٥/ ٢٩١)، دار الكتب العلمية.

اعرف نفسك تعرف ربك، وروي عنه أنه قال أيضًا: من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه».

إن الإنسان إذا تخلّى عن مقعد العبودية للواحد القهار مستبدلًا إياه بصرح فرعون الذي بناه متكبرًا متنكرًا جاحدًا؛ باحثًا عن إلٰه موسى ـ كما زعم ـ فإنه سيغمُض عليه كل شيء في الكون، ثم يغرق في يمّ الضعف البشري، وينتهي كما انتهى فرعون وغيره؛ إذ إن كل شيء في الحياة سيبدو مضطربًا أمامه غير ذي معنى، ولا يمكن أن يكون له معنى ـ البتّة ـ بعيدًا عن الإيمان بالله القهار الذي أحاط بكل شيء علمًا، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، وخلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملًا، ثم يبعثنا ليوم النشور، للحساب والجزاء.

ومن هنا نجد أن كثيرًا من الشباب الذين ألحدوا أو تركوا الإسلام إنما فعلوا ذلك حين نزعوا منظار العبودية لخالق الكون، ولبسوا أردية الندّية، وصاروا يطرحون أفكارهم المتعلقة بما ينبغي أن يكون عليه الكون والإنسان؛ وكأنهم خَلَقوا شيئًا منها أو يستطيعون، وهم في ذاتهم عبيد مقهورون أصلًا لله سبحانه وتعالى.

والمقصود: أنه لا هوية للإنسان إلا باتساقه مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فطرة العبودية لله تعالى.

ولنتذكر دائمًا، أن الإنسان إذا لم يعرف ربه لم يعرف نفسه، وإذا فقد ربه فسيفقد المعنى في كل شيء، وسيكون نسيانه لربه هو ذاته اليوم الذي سينسى فيه نفسه.

ثانيًا: محددات الهوية للشباب أو الشابة من الجيل الصاعد:

المحدد الأول: أنا مسلم أنتمي لأمة كبيرة:

فمن واجباتي خدمتها والقيام عليها، والسعي لنصرتها؛ كل حسب استطاعته.

المحدد الثاني: أنا ابن أبي وأمي وعائلتي:

وهذا يحقق لي الشعور بالانتماء والجماعة والنصرة، ومن واجباتي الإحسان إليهم، والصبر على أذاهم.

المحدد الثالث: أنا زوج أو زوجة، وأب أو أم:

فالزواج لي ليس شيئًا عابرًا، وإنما مقصد مهم، كما أن وجود الأبناء مهم في حياتي، فأنا أربيهم، وأحرص على صلاحهم، ومن ثم نفعهم للمجتمع والأمة.

المحدد الرابع: أنا صديق صالح:

فالأصدقاء والصحبة تعنيان لي أمرًا مهمًّا، وتحققان سعادة لي وشعورًا بالأنس، كما أنها من أبواب التعاون والصبر لتحقيق غاية الوجود.

المحدد الخامس: أنا طالب علم أنفع به الناس ـ وهذا للنخبة من الجيل الصاعد ـ:

فليس للعلم ـ عندي ـ وقت ومرحلة محددة تنتهي بانصرامها، بل هو من صفاتي التي تلازمني ما حييت، كما أنني أنفع به الناس، ولا أجعله حبيس صدري، وهذا الهدف سيصبغ هويتي بصبغة حسنة تملأ حياتي وتصحح مساري.

(٣)
تحدي الإيمان والثبات

لو أردنا أن نطلق لقبًا على المرحلة الزمنية القادمة التي ستواجه الجيل «الناشئ» ـ وهو الجيل الذي يلي الصاعد ـ لكان من أصدق الألقاب ـ فيما أتصور والله أعلم ـ لقب: (**تحدي الإيمان والثبات على الدين**)؛ وذلك أنّني أرصد حالة التساؤلات الوجودية ومسبباتها منذ سنوات، وجربت مئات أو آلاف الحوارات والنقاشات، وفهمت من خلالها أمورًا كثيرة متعلقة بمشكلة الشك والتساؤلات الوجودية، إضافة إلى التأمل في مجريات الواقع مما له ارتباط بصورة مباشرة أو غير مباشرة بحالة الإيمان والتدين = فظهر لي من خلال ذلك كله أن المشكلة في تصاعد، وأن القادم أخطر مما نراه الآن من حالات الإلحاد المتفرقة، وأن مزالق الارتداد عن الإسلام ستصبح من الشباب أقرب من أي وقت مضى.

وهذه النظرة ليست من باب التشاؤم وإنما من باب توقع ما سيحصل بناء على ما يجري في الواقع اليوم مما نراه ونلمس آثاره القريبة، والله أعلم بالحال والمآل.

وإن من المهم غاية الأهمية ألا نتأخر أكثر في إدراك حجم المشكلة، ولا في إطلاق حملات الاستنفار لتثبيت الإيمان وتعزيز اليقين في نفوس أبناء الجيل الصاعد والناشئ.

كما يجب على الباذلين من أهل الخير أن يسخّروا ما يمكن تسخيره من أموال في إنشاء ورعاية المشاريع النافعة التي تصب في تعزيز هوية المسلم وتأصيل الثوابت لديه.

وإلى الجيل الصاعد أوجه مجموعة من التوصيات بخصوص هذا التحدي الكبير:

١ ـ العناية بقراءة الكتب التي تعزز اليقين وتثبّت الإيمان بالحجج والبراهين، وهي في تزايد كبير بفضل الله تعالى، فالمكتبة الإسلامية أصبحت ممتلئة بالمؤلفات المعتنية بشأن تعزيز اليقين وتثبيت الإيمان، بل صارت هناك مراكز تخصص جزءًا من منتجاتها لتغطية هذا الملف، كمركز تكوين ومركز دلائل ومركز رواسخ ومركز تبصير وغيرها.

ومن الكتب الجيدة والمناسبة: كتاب النبأ العظيم لمحمد دراز، كما أنني كتبتُ ثلاثة كتب يسهل قراءتها

وفهمها للجيل الصاعد لتحقيق هذا الهدف، وهي: (محاسن الإسلام ـ كامل الصورة ـ سابغات).

وأود التنبيه إلى أن تعزيز اليقين لا يكون بالبحث عن الشبهات والرد عليها، ولا بالانشغال بأطروحات الملاحدة والمشككين، فهذا عمل الخاصة، وإنما المطلوب معرفة دلائل الحق وبراهينه، والعمل بمقتضى الحق، وأما الشبهات فيكفي معرفة أصول المنتشر منها بعد معرفة الصواب لا العكس، ويكون ذلك من المصادر المأمونة، فكم من متحمس في نقاش أصحاب الشبهات وهو غير مبني بناء صحيحا كانت عاقبته خسارة وضياع.

٢ ـ الحرص على البناء الشرعي، وذلك بدراسة مرحلة التأصيل على أقل تقدير، وسيأتي شرح ما يتعلق بمراحل القراءة والدراسة الشرعية في موضوع الفوضى المعرفية بإذن الله.

٣ ـ العناية الخاصة بعلمي: الحديث وأصول الفقه، فهذا العلمان إذا فهما بشكل جيد، مع الممارسة والتطبيق العملي، فإنهما يُسهمان في تشكيل عقل شرعي منظّم لا يسهل خداعه بزيف الشبهات.

٤ ـ الاهتمام الخاص بمعجزة الإسلام: القرآن.

والإنسان كلما اقترب من القرآن ـ حفظًا وفهمًا وتلاوة

وتدبرًا وعملًا ـ فإنه يزداد إيمانًا، وتنفتح له أبواب الهداية والتوفيق، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال عن القرآن: «**مَنِ اتَّبَعه كَانَ عَلَى الهُدى، ومَنْ تَرَكَهُ كانَ عَلَى ضَلالَةٍ**»[1].

ومن أفضل صور العلاقة بالقرآن: تخصيص ورد للقراءة والتدبر، ويحسن أن يكون بالتدارس مع الصحبة الصالحة الطيبة، لتعلّم ما في الآيات من الإيمان والأحكام والعبر، وهذا من أفضل ما يمكن أن يفيد في تثبيت الإيمان واليقين.

كما أقترح في سياق الوصول إلى تثبيت اليقين بالقرآن: الاهتمام بالبرامج والكتب التي اعتنت بإبراز بلاغة القرآن ومعجزته وأسراره وعجائبه. وممن اهتم بذلك من المعاصرين من الجهة البلاغية: د. فاضل السامرائي، وله كُتُب حسنة في ذلك، وقد اعتنى المتقدمون بباب الإعجاز القرآني عناية كبيرة، ـ ولا أقصد هنا ما يُعرَف بالإعجاز العلمي فمعجزة القرآن ثابتة قبل العصور الحديثة ـ وكتبوا في ذلك كتبًا كثيرة، وهي وإن كان فيها شيء من العسر والصعوبة لفخامة اللغة المكتوبة فيها إلا أنه يمكن فهمها بالقراءة الجماعية والتدارس لمن عسر عليه فهمها منفردًا.

ومن أبرز ما كُتب في ذلك: بيان إعجاز القرآن للخطابي، وإعجاز القرآن للباقلاني، ودلائل الإعجاز

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٨).

للجرجاني ـ وهو أعسرها على المبتدئين مع غزارة فوائده ـ. ويُستحسن قبل قراءة شيء منها مشاهدة محاضرة (إعجاز القرآن عند المتقدمين ـ أحمد السيد).

٥ ـ التسجيل في برنامج صناعة المحاور لمن تجاوز السادسة عشرة من عمره، فهو برنامج يعتني ببناء العقل الشرعي المبرهن، ويُثبّت الأصول والقواعد الشرعية، وهو برنامج الكتروني يُدرس في ثمانية أشهر تقريبًا.

٦ ـ القراءة في الكتب التي نقدت الثقافة الغالبة ـ الثقافة الغربية المادية ـ لأن سقوط قيمتها من النفس يستلزم شبهاتها وإشكالاتها وتأثيراتها، وفي هذا السقوط خير عظيم.

تنمية التفكير السليم، وتقوية الحس النقدي المعتدل، وسأذكر تفاصيل ذلك في الموضوع القادم.

(٤)
التفكير بين النقد والشك

كيف يمكن للمرء أن يعيش اليوم في عالم يعج بالمغالطات على كافة أصعدته ـ السياسة والاجتماعية والإعلامية والفكرية ـ دون أن تكون لديه عقلية ناقدة يفحص بها ما يستقبل من معلومات وما يتلقى من أفكار؟!

لا شك أن من يفتقد المستوى النقدي الجيد فإنه سيتيه بين الأخبار المتضاربة، والآراء المتعارضة، والدعايات المتنوعة، والعقائد المختلفة.

إن الإسلام بجانب إتيانه بالأوامر والنواهي والأخبار قد أرشد إلى الاهتمام بالتفكير والأدلة والبراهين وعدم اعتناق العقائد وتبني الأقوال لمجرد كونها منتشرة أو شائعة، فنحن نقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم

مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣، ٢٤]، وقوله سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ [سبأ: ٤٦]، وقوله سبحانه: ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾ [يونس: ٦٨]، والسلطان في القران معناه الحجة لا الحاكم أو المَلك. وقوله سبحانه: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤].

كما أننا نجد أن النبي ﷺ يبيّن لنا يقظة المؤمن وكمال انتباهه وصعوبةَ خداعه؛ وذلك بقوله: «**لا يُلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**»[(١)].

وفي المقابل؛ فإن الإسلام لا يدعو إلى السقوط في ظلمات الشك والريب، ولا إلى التعنت في اشتراط الدلائل، بل نجد أن القرآن يذم الكفار حين اشترطوا للإيمان شروطًا تحكّمية لا تتواءم مع طبيعة الحقائق، كما في قولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، وقولهم: ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبًا نَّقۡرَؤُهُۥۗ﴾ [الإسراء: ٩٣].

ولا يزال اليوم من يتبع هؤلاء المتعنتين بإنكار الأدلة الموصلة إلى الحقيقة الوجودية والدينية إذا لم تمر بدائرة (التجربة والحسّ)، وهذا ليس من النقد المتزن في شيء.

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).

وسأذكر أهم سمات التفكير النقدي أو المفكر الناقد، عارضًا إياها بطريقة مسهلة وقريبة من الواقع بحيث يمكن تطبيقها.

وكلما ازداد المرء علمًا اتسعت لديه دائرة التطبيق لهذه الصفات.

• سمات التفكير النقدي:

أولًا: اشتراط الدليل لقبول الدعوى:

إن الدعاوى لا تساوي شيئًا ما لم يقرنها أصحابها بأدلة تثبت صحتها، فحين يقول قائل: إن هذا الأمر وقع في التاريخ، أو إن هذا الحكم منسوب إلى الشرع، ونحو ذلك، فإن هذا القول وحده لا يُثبِت شيئًا ما لم يكن معه دليل يدعم هذا الادعاء.

وكثيرًا ما يقع اللبس في الواقع بسبب القبول للدعاوى غير المبرهنة.

ثانيًا: اشتراط الصحة لقبول الدليل.

ينظر المفكر الناقد عند نقده لأطروحة المخالف إلى ثلاثة أمور: إلى الدليل، وإلى نتيجته، وإلى طريقة الاستدلال التي تَوَصَّل بها إلى النتيجة. فإذا تضمن إحداها خطأ ما، اختلّت أطروحته، وصارت محل استشكال في ميزان النقد العلمي، ومن أكثر ما يقع من الخطأ في ذلك: عدم صحة

الدليل إما من جهة الثبوت أو من جهة الدلالة، وقد شرحتُ ذلك بأمثلته في كتابي: (أصول الخطأ).

ثالثًا: اشتراط (اللزوم) لقبول النتيجة من الدليل.

لا يكفي لصحة الاستدلال بدليل ما أن يكون ثابتًا في نفسه، ولا أن يكون فهم ألفاظه صحيحًا، بل لا بد أن يكون بين الدليل والمدلول «النتيجة» علاقة لزوم؛ أي: أن يكون الدليل مستلزمًا للنتيجة.

فحين يقول قائل: إن وجود المصائب والكوارث؛ يعني: عدم وجود خالق، نقول له: إن دليلك لا يستلزم النتيجة أبدًا، فإن وجود المصيبة على شخص ما، لا يستلزم انتفاء وجود من ينظر إلى وقوعها بعين الحكمة، فكيف لو كانت هذه المصائب والكوارث في ظرف زمني يُراد له أن يكون اختبارًا وابتلاءً، ويراد له أن يكون محلا لتمحيص الناس وتنقيتهم؟ أليس هذا مقتضى ما أخبر الله به عن حال الدنيا؟

رابعًا: اشتراط عدم مناقضة الدليل لما هو أرجح منه من القطعيات إذا كان ظنيًّا:

إن من يتصف بالتفكير النقدي العلمي يفحص النتائج التي يتوصل إليها الناس كما يفحص الأدلة والاستدلالات، فإذا كانت النتائج تعارض أو تناقض نتائج أخرى ثبتت بأدلة أكثر قوة، فإنه يقدم الأقوى على ما دونه.

وقد ذكرت بعض الأمثلة على ذلك في كتابي المشار إليه قريبًا.

خامسًا: عدم قبول التناقض:

إن التناقض بين أمرين يدل على أن أحدهما ـ فقط ـ صحيح؛ إذ إن النقيضين لا يرتفعان ولا يجتمعان، والمفكر الناقد لا يقبل الجمع بين النقائض، بل يدقق في المتناقضات ويرجح منها ما كان مستندًا إلى دليل صحيح؛ أيًّا كان نوعه (خبريًّا أو عقليًّا أو حسيًّا).

كما أنَّ المفكر الناقد ينفر من الأشخاص الذين تكثر التناقضات في أطروحاتهم، وأقول: (تكثر)؛ لأن الإنسان لا يخلو ـ لنقصه ونسيانه وجهله ـ من أن يقع في كلامه شيء من الاختلاف أو التناقض، ويكون مردودًا عليه ما تناقض فيه، ولكن: أن يكثر ذلك في المرء ويفحش، فهذا دلالة على اضطراب أصوله واختلال قواعده المعرفية، ولسنا بحاجة إلى مزيد من الاختلال والاضطراب المعرفي في هذا الزمن.

سادسًا: التفريق بين المعارف القطعية والمعارف الظنية، والتعامل مع كل منهما بما يناسبه:

إن المفكر الناقد يختلف عن المفكر الشكاك، فالناقد يدرك التفاوت بين المصادر، ومن ثم يتعامل مع كل منها بما يليق به بحسب وجود البراهين المثبتة لقوة ذلك المصدر من عدمها.

وأما الشكاك فيتخذ الشك منهجًا له يعانت به في وجه الحقائق، ولا يفرق بين المصادر.

- **طرق تحصيل التفكير الناقد:**

أولًا: تطبيق الصفات الست المذكورة آنفًا في التعامل مع الأخبار والمواقف التي تمر بالإنسان في حياته، فيكون الأمر في البداية أشبه بعرض المعلومات على حواجز تفتيش، ولكن مع مرور الوقت بالممارسة والمران يكتسب المرء ملكة النقد، فلا يستغرق اكتشافه لخللٍ ما سوى أجزاء من الثانية أحيانًا.

ثانيًا: طلب العلم الجادّ المستمر، والتركيز على العلوم التالية في سبيل اكتساب المعرفة النقدية:

١ ـ علم مصطلح الحديث: إذ يُنمي القدرة على فحص ثبوت الأخبار، وطرق كشف دقيق خللها وعللها.

٢ ـ علم أصول الفقه: وهو ينمي القدرة على فحص معاني الأخبار، واستنباط دلالاتها، والربط بين النصوص، وطريقة الجمع بين الأخبار حين تعارضها.

٣ ـ علم الجدل والمناظرة: وهو ينمي القدرة على تنظيم الحجج وترتيبها، وكيفية عرضها بصورة واضحة بينة، ويعين على إدراك مغالطات الطرف المقابل.

ثالثًا: قراءة مؤلفات العلماء الذين تميزوا واشتهروا

بعقليتهم الناقدة، على مر العصور في التاريخ الإسلامي، من أمثال ابن حزم، وابن تيمية، والذهبي.

رابعًا: متابعة نتاج بعض المعاصرين المتمكنين ممن تميزوا بالفكر الناقد في المناظرات كأحمد ديدات، أو في الطرح التحليلي كعبد الوهاب المسيري في نظرته للعلمانية والحداثة.

● **لفتات مهمة:**

ـ إن الولع بتوليد الأسئلة والشغف بمجرد طرحها دون الحرص على البحث عن إجابات= ليس إلا سفسطة غير منتهية، لا تسمن ولا تغني من جوع.

ومن اتخذ الشك مذهبًا وقال به في كل ما يعرض له من مسائل فلن يحصّل معرفة، ولن يصل إلى نتيجة، وسيتناقض في نفسه عندما يأخذ باليقين فيما يريد من الأمور.

أما التفكير الناقد: فيسعى للوصول إلى المعرفة اليقينية الصحيحة عن طريق النظر والموازنة بين الأوجه المختلفة للأمور؛ في حين أن التفكير الشكي هو حالة من العبثية التي لا تقود إلا إلى مزيد من التيه والتناقض.

ـ إن الدلائل التي تثبت وجود الله وصدق الوحي والنبوة، تقود للتسليم بكل ما يأتي من الوحي من أخبار، وإن لم يدرك الإنسان «وجه» معقولية بعضها، مع إدراك كونها لا تناقض العقل وإن كانت تحيره.

(٥)
مشكلة القدوات

إن من أبرز المشكلات التي تواجه الجيل الصاعد مشكلة ضبابية الرؤية تجاه الرموز والقدوات: (بمن يقتدون؟ وعمّن يأخذون؟ وإلى من يستمعون؟). ونفوس البشر مجبولة على حب الاقتداء، متشوّفة لرؤية من ينزّل لها الأوامر والنواهي النظرية؛ متمثلًا إياها على أرض الواقع أنموذجًا حيًّا، ولذلك فإن الصحابة رضوان الله عليهم ـ بما شهدوه من أحوال رسول الله صلى عليه وسلم ـ كانوا أقدر هذه الأمة على الاقتداء به؛ فحازوا بذلك مراتب السبق في الإيمان واليقين والثبات: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

إلا أننا نعيش اليوم أزمة حقيقية في شأن المتصدرين لتوجيه الناس ورسم أفكارهم وسلوكهم في فضاءات الشبكة

المفتوحة التي تتيح لكل أحد أن يكون له منبر يدعو الناس فيه إلى نفسه وأفكاره؛ خاصة في ظل انخفاض المستوى النقدي في تفكير كثير من الناس الذين يتابعون هذه الشبكات.

هذا بالإضافة إلى أن بعض المشتغلين بالدعوة والعلم لم يحسنوا تمثيل الرسالة التي يحملونها، كما أنهم من جهة أخرى لم يدركوا حجم التغير الواقع في لغة الخطاب وطبيعته وموضوعاته عند المتابعين لهم.

هذا بالإضافة إلى تربص المتربصين الذين يقومون باستغلال مقاطعهم وكتاباتهم ـ التي أخطؤوا فيها، أو كانت صوابًا ولكنها شُوّهت ـ لانتقاد الدعوة والتدين وليس لانتقاد الشخص بعينه، وأحيانًا لانتقاد الإسلام نفسه كما في بعض الحملات الإلحادية التي تصطاد في الماء العكر.

ومن المهم جدًّا أن نقرر **قاعدة كبرى في هذا الباب**؛ ألا وهي أن المبادئ يجب أن تعلوَ على الأشخاص.

وحين كانت المبادئ أعلى من الأشخاص كان الناس يتعاملون مع زلة العالم أو انحرافه بتوجيه أصابع الاتهام إليه لا إلى الدين أو العلم الذي يحمله، بل يقولون له: ألم يمنعك دينك؟! ألم يعصمك علمك؟!

وذلك كما يقول القائل لمن عمل شيئا منافيًا للحكمة: ألم يمنعك عقلك؟! ألا تفكر؟!

وأما اليوم حين ضعفت المبادئ صار يُحسب خطأ العالم أو انحرافه على الدين نفسه لا على الشخص وحده عند كثير من الناس. وهذه مصيبة عظيمة جدًّا، وباب شر وفتنة.

ولذلك؛ فإن من الواجب إعادة ترتيب الهرم في وعي الناس وثقافتهم بتقديم المبادئ على الأشخاص؛ الذين هم عرضة للفتنة واتباع الهوى أو عرضة للخطأ والزلل على الأقل.

وهذا المعنى بيّن جدًّا في الشريعة وفي تراث أهل العلم الذين تحدثوا كثيرًا عن تفاوت حَمَلة العلم في القيام بحقه، فعظّموا العلماء الذين قاموا بحق العلم وجعلوهم أئمة في الدين، وذموا العلماء الذين تخلفوا عن القيام بحق العلم؛ كُل بحسب مستوى تقصيره.

وفي عصر النهضة الأوروبية وزمن امتداد قيم الحداثة والتنوير كان من أبرز أسباب تخلص تلك المجتمعات من الدين: البدء بإسقاط رمزية رجل الدين، ثم تلا ذلك إسقاط الدين نفسه، وقد ساعد على ذلك فساد طائفة من رجال الدين والكنيسة، وتورطهم في عدد من الحروب الدموية، وسرقة أموال الناس، وغير ذلك.

وفي المقابل فإن من أهم العوامل الداعية إلى الثبات

على الدين والاستقامة في السلوك والتواؤم مع المبادئ والقيم= وجود القدوات من العلماء والصالحين الذين يتمثلون ما يعتقدون به عمليًّا، في بيوتهم ومع أقربائهم والناس من حولهم.

- **صفات قدوات للجيل الصاعد:**

بناءً على ما سبق ذكره من الأسئلة التي تقلق الجيل الصاعد في موقفه من الرموز، وهي: (بمن نقتدي؟ وعمّن نأخذ؟ وإلى من نستمع؟) فإنَّ تبيين الصفات التي تُميز من يصلح للاقتداء ومن لا يصلح لمن أهم ما يحتاج هذا الجيل إلى الجواب عنه.

وسأذكر لأجل ذلك ثمان صفات للقدوات لعلها تقرب بعيدًا، أو تحل مُشكلًا، ولكن قبل ذلك سأنبه إلى **أمرين في غاية الأهمية:**

الأول: أن القدوة ليس معصومًا من الخطأ أو الذنب، بل قد يزل ويُخطئ ويذنب، فلا ينبغي إسقاط المرء عن مقام الاقتداء لمجرد كونه وقع في معصية أو ذنب ما لم يصل إلى حد المجاهرة بذنوبه، والمفاخرة بها، والإصرار عليها، فهذا لا يكون قدوة بالمعنى العام؛ وإن كان قد يُقتدى به في بعض الأعمال بصورة جزئية مما أحسن فيه؛ مثل الاقتداء بالمرأة البغي التي سقت الكلب في هذا العمل بعينه.

الثاني: أن الصفات التي سأذكرها لا يتوقف إطلاق الوصف على المرء بأنه قدوة على تحقيقه لجميعها وإن كانت كلها مهمة، لكن إن اجتمعت أكثرها في شخص فيمكن أن يوصف بأنه قدوة، كما أن مقامات الاقتداء تتعدد وتتنوع، وليست كلها تتطلب توفر الصفات بمجموعها.

وسأذكر في نهاية الموضوع ضوابط في بيان معنى الاقتداء بإذن الله تعالى.

الصفة الأولى: الانطلاق من المحكمات:

إن من أهم السمات التي يجب أن تتوفر فيمن يصلح أن يكون قدوة: انطلاقُه من المحكمات لا من المتشابهات، وبناؤه الفروع على الأصول لا العكس؛ لأنّه إنما تفقه الحياة ويؤخذ العلم بهذا، ولا يتيه المرء ويختلّ سيره ويزلّ إلا باختلال أصوله ومنطلقاته، إذ إنها للمرء كالسّكة للقطار؛ تضبط سيره وتضمن سلامته.

وبناءً على ذلك؛ فإن من الواجب: إسقاط الاقتداء بمن يتتبع المتشابهات، ويثير الإشكالات في مقابل إهماله الارتكاز على المحكمات والرد إليها: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ٧].

الصفة الثانية: الجمع بين النصوص الشرعية وبين مراعاة المقاصد والمصالح:

كثيرًا ما ينشب الصراع بين معسكرَي النصوص

والمقاصد، فالمعسكر الأول يعيب على الثاني تمييع الدين والشريعة، ويعيبُ الثاني على الأول جموده وبعده عن حاجة الناس وروح الإسلام.

والمطلوب مراعاة الأمرين؛ فالطريقة الشرعية لا تُحدِث صراعًا بين النصوص والمقاصد، بل توائم بينها فتجعل النصوص علامات مرشدة للفقيه في تعامله مع المقاصد، وتجعل المقاصد أُفُقًا يلحظه الفقيه وهو يتعامل مع النص.

فينتُج لنا بهذا الاتزان فقه يجمع بين **صفتين**:

الأولى: الاتساق الشرعي مع المحكمات والقطعيات.

الثاني: التقدير للواقع وحُسن التفاعل معه بما يحقق مقاصد الشرع العامة.

وأما من لا يراعي مقاصد الشريعة ومصالح الخلق أو يراعي المصالح دون الاهتمام بالنصوص وتقديمها: فكلاهما لا ينبغي أن يكون في صدارة الرموز الصالحة للاقتداء.

الصفة الثالثة: الوعي وحسن فهم الواقع:

لا بد للمرء لكي يستحق مقام القدوة أن يكون على دراية بواقع الناس؛ فهذا رسول الله ﷺ يؤثِرُ دفع مفسدة نفور قومه ـ بإدراكه أنهم حديثو عهد بالإسلام ـ على مصلحة بناء الكعبة لتعود على ما كانت عليه زمن إسماعيل عليه السلام[(١)]،

---

(١) انظر: صحيح البخاري (١٥٨٦).

وسبب المفسدة التي يمكن أن يتأثر بها قومه هو أن بناء الكعبة يتطلب هدمها أولًا؛ فدرأ رسولُ الله الفتنة، وقدم دفع المفسدة على جلاب المصلحة من خلال ملاحظته لمستوى وعي الناس وطبيعة المرحلة التي يعيشونها.

وكذلك فعل ﷺ حين رفض قتل رأس المنافقين عبد الله بن أُبي؛ لكي لا يقال: إن محمدًا يقتل أصحابه، فقدم درء مفسدة الفتنة على مصلحة التخلص من المنافق الأكبر.

الصفة الرابعة: تقديمه مصلحة الأمة على مصلحة الفرد:

لا يكون المرء حقيقًا بمقام القدوة إلا بتقديم المسلمين ومصالحهم على ما دون ذلك من المصالح، وهذا أمر في غاية الأهمية، ومع كونه واضحًا ومقررًا في الشريعة إلا أن من الناس من تغلبهم أهواءهم ومصالحهم الشخصية حتى ضمن إطار اشتغالهم في العلم الشرعي والدعوة الإسلامية.

وقد شاهدت بعض النماذج على ذلك، فمثلًا: أعرف متخصصًا في الحديث وعلومه قد رُزق فهمًا وتمكنًا كبيرًا في هذا المجال، وكان يمكنه ـ في ظل الموجة التشكيكية على الثوابت ـ أن يشتغل بحماية السُّنَّة وإثبات حجيتها ورد الشبهات المثارة على علم الحديث وهي مجال اختصاصه، ولكنه شُغل عن ذلك بصراعات جانبية مع دعاة آخرين يختلف

معهم منهجيًّا، حتى صار يُعرّض بهم في كل حين، بمناسبة أو غير مناسبة.

وأنا أظن أنه ينطلق من مبدأ تصحيح الأخطاء والمفاهيم وما إلى ذلك، ولكن هذا المبدأ يكون أحيانًا حيلة شيطانية خطيرة يدخل بها على الإنسان.

وقد كتبتُ إلى هذا الدكتور وأمثاله رسالة مفتوحة في فيس بوك، هذا نصها:

«هل تعلم أن ما تفعله يُنفّر كثيرًا من المحايدين ـ من عشاق المعرفة ـ عن أطروحاتك؟ وهل تدرك أن الثقة بآرائك واختياراتك العلمية قد اهتزت لدى كثير ممن كانوا يعتبرونها في السابق؟ وأن منهم من لم يعد يطيق سماع شيء منك ولا قراءة حرف لك؟! وهل فكّرتَ يومًا بأنه قد يكون من الخذلان والحرمان الذي تعيشه أنه لا يكاد يُسمَع صوتك ولا يُرى حرفك حين تشتد هجمات الأعداء وتغشى سهامهم ثوابتَ الملة وأركانها؛ في الوقت الذي تكون فيه دائم الحضور والهيجان إن مسّ جنابك ماسٌّ أو عارض حضرتك معارِض؟ يا عزيزي لن يلومك أحد حين تدافع عن عرضك وآرائك وشخصك بالقدر المعقول المعتدل؛ الذي لا يقلب هرم اهتمامك ولا يضيع بوصلة أهدافك ولا يغيبك عن رسالتك الشريفة في الحياة».

الصفة الخامسة: تصديق القول بالعمل:

الإسلام ليس نظرية فلسفية، ولا ينفك التنظير فيه عن التطبيق بأيّ حال من الأحوال، فمن اكتفى بالكلام والشعارات العريضة، ثم ناقض عمله قوله= فليس أهلًا لأن يكون قدوة.

ومما يؤسف له أن بعض الدعاة وقعوا في تناقضات شنيعة قبيحة ـ بحسن نية أو بسوئها ـ، صارت محلًّا للتفكه والتندر عند معادي الدعوة الإسلامية، وقد أدت هذه التناقضات إلى اختلال تدين طوائف من الشباب الذين كانوا يرون في بعض أولئك الرموز نموذجًا ساميًا نزيهًا، ثم باتوا يرونهم يقلبون آراءهم وأقوالهم بحسب الموجة السائدة.

مع العلم بأن تغيير الآراء واختلاف الاجتهاد والفتوى أمر مقبول إذا كان مفهومًا يمكن تبريره، وأما أن تتغير الفتوى أو الرأي بسياقات لا تُبرر، فهذا لا يمكن أن يقبل.

الصفة السادسة: التوازن والاعتدال:

إن من صفات القدوة ألا يكون من أهل الغلو بمختلف صوره، فلا يكون مغاليًا في تعظيم الرجال، ولا يكون مغاليًا في تعظيم الحكام، ولا يكون مغاليًا في التكفير، ولا يكون مغاليًا في نقد التراث، ولا يكون مغاليًا في نقد الدعاة، بل يكون معتدلًا متزنًا، والاعتدال صفة من أهم صفات القدوة.

الصفة السابعة: عدم مخالفة الثوابت الشرعية:

إن من يخالف المحكمات والثوابت الشرعية ـ التي يستحيل تبدلها باختلاف الأحوال والأزمنة، والتي استفاضت الأدلة الشرعية عليها، وكانت محل قبول بين عامة علماء المسلمين ـ لا يكون حقيقًا بمقام الاقتداء، كمن يسقط حجية السُّنَّة، أو يعادي أصحاب رسول الله ﷺ، أو يستبيح دماء المسلمين المعصومين المصلين؛ استرضاءً لحاكم أو وزير أو جماعة.

فالقدوة لا يخالف الثوابت الشرعية ولا يتجاسر على تجاوزها.

الصفة الثامنة: التنوع المعرفي:

إن تشعب الأفكار والقضايا في زمننا، وتداخل الموضوعات التي تشغل عامة الناس وخاصتهم، وتصدر رموز من المخالفين للثوابت الشرعية ممن يتحدثون في شتى الموضوعات، يتطلب إيجاد قدوات معرفية متنوعة الاهتمامات متعددة الثقافات لسد الفجوة، ورص الصف، وإحسان المعالجة.

إشارات وتنبيهات وضوابط في موضوع الاقتداء:

أولًا: أعِدْ ترتيب قائمة الرموز أو الشّخصيات التي تعجبك، وحاول أن تعرضها على الصفات السابق ذكرها،

حتى تحصر مستحقي مقام الاقتداء منهم، وتحدد مؤهلاتهم التي أهلتهم لبلوغ هذا المقام العظيم لديك.

ثانيًا: وسّع دائرة القدوات لديك تاريخيًّا، ولا تحصر نفسك بالأحياء منهم.

ثالثًا: الاقتداء يكون بالأطروحات المقصودة لا المسكوت عنها، فالأصل أنك إن وجدت إنسانًا جامعًا للصفات السابق ذكرها تنظر إلى ما قدم من عمل صالح فتقتدي به، وأما النظر إلى الحواشي وإلى ما لا يقصده أو إلى ما سكت عنه: فهذا فيه نظر.

رابعًا: الاقتداء لا يعني المطابقة للمقتدى به؛ وذلك أنّ مقام التأسي الكامل إنما هو خاص بالرسول ﷺ وحده دون غيره من البشر.

خامسًا: توسيع مجالات الاقتداء لتشمل الأبواب الإيمانية والأخلاقية؛ إذ إنّ الاقتداء ليس مقتصرًا على النواحي الفكرية أو المعرفية.

سادسًا: طلب الاسترشاد من القدوات، وسؤالهم، واستشارتهم، وعدم الاكتفاء بالاستماع العام لمحاضراتهم والقراءة لكتبهم.

سابعًا: ينقسم الاقتداء إلى ثلاثة مستويات بحسب تفاوت صفات الشخص المقتدى به:

المستوى الأول: الاقتداء الجزئي المحدد بباب معين.

المستوى الثاني: الاقتداء المنهجي والفكري والسلوكي العام.

المستوى الثالث: الاقتداء التام الشامل في كل شأن من شؤون المقتدى به؛ وهذا لا يكون إلا للرسول ﷺ.

تأمل في الواقع:

لقد حظيت الأمة الإسلامية في القرن الفائت بمجموعة من المفكرين البارزين الذين قدموا أطروحات فكرية إسلامية متميزة واشتغلوا في حقول معرفية إنسانية متنوعة، إلا أنه كان كالسِّمَة الملازمة لهم: ضعف علمهم التفصيلي بالتراث الإسلامي وما يستند إليه من الوحي، ولذلك فأنت ترى النقص في ثنايا أطروحاتهم باديًا من هذه الجهة.

ثم إن الكفة مع نهايات القرن وبدايات الذي يليه ـ القرن الحالي ـ مالت إلى انتشار العلوم الإسلامية التراثية والاعتناء بها، وكان ذلك في كثير من الأحيان على حساب المعرفة الفكرية الضرورية التي تحتاجها الأمة في هذا الزمن الذي هي فيه تابعة فكريًّا لغيرها؛ فرأينا بسبب ذلك: الفصامَ النكد بين الحقلين الضروريين: الحقل الشرعي التراثي والحقل الفكري الواقعي.

ثم ها نحن في السنوات الأخيرة نشهد بوادر حالة

جديدة فريدة، حالة يشق فيها شرعيون متمكنون عباب البحار الفكرية والواقعية بثبات واتزان وثقة، وهؤلاء إذا استمروا وتزايدوا **واقتدى** بهم الأذكياء الطموحون فإن أثرهم في الأجيال القادمة سيكون كبيرًا بإذن الله تعالى.

وقد تأملت في أسباب تميز طائفة من هؤلاء المفكرين الشرعيين «الصاعدين» فوجدتهم يشتركون في هذه **الأمور الثمانية**:

١ ـ قوة التأصيل المنهجي الشامل لأصول الفنون الشرعية، والفراغ من هذا التأصيل في خطوة مبكرة من تكوينهم المعرفي.

٢ ـ التوسع في القراءة الذاتية في مختلف الفنون الشرعية والفكرية بعد إنهاء ملف التأصيل المنهجي الضابط لمعرفتهم.

٣ ـ الاهتمام الخاص بالتراث التيمي والاستفادة منه شرعيًّا ومنهجيًّا وحجاجيًّا[(١)].

٤ ـ وضوح الملفات العقدية والمعرفية الكبرى لديهم؛ فلا تجدهم يعانون من التقلبات العقدية أو الاضطرابات المعرفية، وهذا ناتج عن:

---

(١) وهذا بالطبع ليس لازمًا ليكون المرء قدوة لكنني أحلل شيئًا موجودًا في الواقع.

أ ـ صحة التكوين الاعتقادي وارتباطه بمصادر الإسلام الأصلية، «ولا شك أن صحة العقيدة واستقرارها في القلب له أثر مباشر على حسن البناء المعرفي».

ب ـ وضوح مصادر المعرفة لديهم وما يفيده كل مصدر؛ مع اطمئنانهم للدلائل المثبتة لصحة هذه المصادر.

٥ ـ التحرر من الناحية المعرفية والفكرية والإصلاحية وغيرها، وقدرتهم على الوصول إلى ما يرونه أنفع لهم، دون وصاية تنطلق من أطر ضيقة.

٦ ـ إدراكهم للسياق الفكري والثقافي الذي تعيشه الأمة اليوم، ومعرفتهم لأصول التيارات المناوئة لثوابت الملة ورموزها وأطروحاتها.

٧ ـ قوة الأدوات البحثية والنقدية لديهم؛ بحيث يمكنهم التعامل مع المصادر المعرفية الكبرى بطرق علمية محكمة.

٨ ـ حضور المعنى الرسالي لديهم؛ مما يحفزهم على نشر العلم والدفاع عن الإسلام وثوابته دون مقابل مادي.

ثم هم يتفاوتون فيما بينهم في درجات تحقيق هذه الصفات الثمانية، كما أن تخصصاتهم الدقيقة مختلفة ومتنوعة.

وإلى من يطمع بأن يكون مثلهم وأفضل منهم فلينتبه لهذه الصفات وليحرص على تحقيقها ولا يستعجل الثمرات، وليضع في باله أن أمامه عشر سنوات أو أكثر ليصل إلى هذه النتيجة العالية.

(٦)
رباعية التميز للنخبة

في موضوع سابق تحت عنوان «لا تخش الفشل» تحدثنا عن قضية الكمال، وأن كثيرًا من الناس يقعد عن المشاريع الطيبة والنافعة خوفًا من النقص، وقد تقدم بيان ما في ذلك من الإشكال، وتقدم كذلك أن هذا لا يعني عدم تطلب الجودة والإتقان والتميز.

وبما أن الحديث في هذا الكتاب لنخبة الجيل الصاعد، فسأذكر أمورًا أربعة تؤدي إلى التميز لهذه النخبة بإذن الله تعالى؛ وهي:

١ ـ العلم.

٢ ـ العبادة.

٣ ـ التفكير.

٤ ـ الدعوة.

الأمر الأول: العلم:

إذا كان العلم في كل الأزمان مهمًّا فإنه في زماننا هذا يزداد أهمية، غير أننا نحتاج إلى علم متميز مبني على منهجية صحيحة، مع جد في التحصيل ومواظبة على البناء.

وسبيلُ التميز في العلم الجمع بين ثلاثة أمور: المنهجية، والحفظ، والفهم؛ مع صلاح النية وصدق المقصد.

والمنهجية أساس العلم، فالذي لا يبني علمه على منهجية واضحة سيُحْرِق سنوات عمره ثم يكتشف لاحقًا أنه لم يحقق الثمرة المرجوة؛ ولأجل ذلك فإن الجيل الصاعد محتاجٌ في العلم إلى بناء المنهجية الصحيحة، وسأذكر شيئًا منها في قضية الفوضى المعرفية.

وأما الحفظ والفهم فمن المهم الجمع بينهما لا الانحياز إلى أحدهما دون الآخر، وذلك أن الحفظ كحفر البئر حتى يخرج الماء في قعره، والفهم كاستخراج الماء من البئر، فالحفظ هو المادة، والفهمُ الأدوات.

وليس المقصود بالحفظ: حفظَ المتون فقط، بل إن الحفظ أوسع من ذلك بكثير، إذ إنه يشمل حفظ المسائل والقواعد الجامعة والضوابط والفروقات ونحو ذلك.

كما أن الحفظ ليس بالضرورة أن يكون حفظًا نصّيًّا لما

يُراد حفظه، وإنما على الأقل ما يؤدي إلى استظهاره وإمكان استحضاره عند الحاجة ولو بالمعنى.

وأما الفهم فهو أمر شريف به يتفاوت طلاب العلم، وكلما كان مسبوقًا بالحفظ فهو أفضل.

وسبيل تحصيل الفهم أمور متعددة، **منها**:

١ ـ الاهتمام بعلم أصول الفقه وعلوم اللغة العربية، وليس المقصود بعلوم العربية علمي النحو والصرف فقط، بل إدراك فقهها وأدبها وشعرها وبيانها، وحفظ عيون من شعرها ومتنها.

٢ ـ إدمان النظر في كتب الأئمة الكبار المجتهدين الذين استعملوا فيها الفهم والقياس والاجتهاد؛ سواء ما كان منها في تفسير القرآن؛ كتفسير الطبري والقرطبي وابن عاشور، أو ما كان في شرح السُّنَّة والحديث؛ كالتمهيد لابن عبد البر وفتح الباري لابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد، وكذلك كتب الفقه الموسعة المقارنة التي تعرض الأدلة والأقوال والترجيح بينها؛ ككتاب المغني لابن قدامة والمجموع للنووي وغيرهما.

٣ ـ التركيز على مؤلفات إمام بعينه وقراءتها كلها أو جلها حتى يخلص إلى القارئ تفكير المؤلف ومنهجيته ونقده ونظره وقياسه. ثم عمل ذلك مع مؤلفات إمام آخر، وهكذا،

مثل ابن تيمية، وابن كثير، وابن القيم، والذهبي... إلخ.

٤ ـ العناية بأبواب الوجوه والنظائر والفروق؛ سواء ما كان منها في القرآن أو اللغة أو الفقه.

الأمر الثاني الذي يحتاجه الجيل الصاعد للتميز: العبادة:

لقد ظهر الجيل الصَّاعد وكل شيء حوله يدعو إلى الترفيه والتسلية واللعب، في وقت انتشار ثقافة مادية دنيوية محيطة، ومفاهيم ثقافية غير إسلامية غالبة، مع توجه كبير في شبكات التواصل إلى صناعة التفاهة واللامسوؤلية.

وفي ظل ذلك كله كيف يمكن للشاب أن يكون متعبدًا لله تعالى قائمًا بالفرائض على وجهها مستكثرًا ما استطاع من النوافل؟

هنا يكمن التحدي الحقيقي، وهنا يعظم أجر من يجاهد نفسه في الله ولله تعالى.

إن من المهم غاية الأهمية أن يتقوى الإنسان بالله؛ معتصمًا به متوكلًا عليه راجعًا إليه منيبًا خاشعًا مخبتًا، فلا قوة للإنسان ولا استقرار ولا انطلاق إلى المعالي إلا بالله تعالى، ولذلك فليكن من أهم مهماتك وأولى أولوياتك أن تأخذ لنفسك نصيبًا من عبادة الله تعالى؛ بحسب الأولوية والأهمية، فتبدأ بإحسان الفرائض ثم النوافل.

ولتعتن عناية خاصة بذكر الله تعالى، فالذكر شأنه

عظيم، وهو في الميزان ثقيل، مع كونه على النفس خفيفًا سهلًا، والموفَّق من وفّقه الله تعالى.

الأمر الثالث: منهجية التفكير:

من المهم في الوقت الذي تُصنَع فيه التفاهة والترويج والصنعة الإعلامية أن ننمي التفكير الناقد لدينا؛ حتى لا تمر علينا المغالطات وتروج التفاهات.

ومن المهم في الوقت ذاته ألا يكون التفكير الناقد وسيلة لرد ما هو صحيح؛ كما يفعله كثير من مغروري المثقفين.

إن الإسلام قد أحيا منهجية عظيمة للتفكير بالاستناد إلى البراهين، وطلبِها من أصحاب الدعاوى، فأنت ترى في خطاب الله تعالى للمشركين قوله سبحانه: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَآ﴾ [يونس: ٦٩]، وقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤]، وقوله: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: ٤]، وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣]؛ إلى آخر الآيات التي تؤسس لقيمة البرهان والاستناد إليه وعدم البناء على مجرد التقليد، في الوقت الذي يُثبت فيه كبرى العقائد الإسلامية بالبراهين القاطعة.

كما أن الإسلام أحيا التوازن، وذم التعنت في طلب

الآيات بعد قيام الحجة، كما في آيات سورة الإسراء: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾؛ إلى آخر الآيات.

وكل هذا يجعل العقل المسلم عقلًا برهانيًّا متوازنًا، يخضع للحق إن استبان له، ويرفض الخرافات والأساطير والعقائد الفاسدة التي لا دليل ولا برهان عليها؛ سواء كان مصدرها أقوال الآباء والأجداد، أم كان مصدرها فلاسفة أو متخصصين في علوم طبيعية أو اجتماعية أو غير ذلك.

الأمر الرابع الأخير الذي يحتاجه النخبة من الجيل الصاعد: الدعوة إلى الله تعالى:

إن مما لوحظ انتشاره في نخبة الجيل «السابق»: الحرص على مبدأ الدعوة إلى الله بمختلف الوسائل وفي شتى المجالات والأماكن، وقد أخذ هذا الاهتمام بالدعوة صورًا ذات شهرة، مثل توزيع الشريط الإسلامي، والوعظ والتذكير في الجلسات الشبابية على الشواطئ والأرصفة، وغير ذلك، وقد أدى ذلك إلى صلاح كثير من الشباب الغافلين؛ ممن وقعوا في المخدرات والفواحش والعقوق وترك الصلوات ونحو ذلك.

وبصرف النظر عن الأخطاء التي كان يمارسها بعض المشتغلين بالدعوة والتي كان لها تأثير سلبي على طوائف من الناس ـ والواجب اجتنابها وعدم التهاون فيها ـ إلا أن الجوّ العام الذي يعيش الجيل الصاعد في فضائه هو جو بعيد عن

الدعوة إلى الله تعالى، بل على العكس من ذلك، إذ إنه جوّ يُكرس مبدأ الفردية، ويؤكد على تشويه فكرة الدعوة، ويربطها بمصطلحات ومفاهيم للسخرية والاستهزاء؛ مثل مصطلح «الاستشراف» ونحو ذلك، وهذا أمر في غاية الخطورة.

إن الدعوة إلى الله تعالى منهاج عظيم سار عليه المرسلون، وفاز باتباعهم عليه من أمتهم الموفقون، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس: ١٠٨]، وقال سبحانه مبينًا شرف الدعاة إليه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٤٤].

إن الدعوة إلى الله تعالى إذا كانت حياةً للإنسان، فإن هذا الإنسان يكون أسعد الناس وأغناهم، كما أنه يكون أثبتهم على دين الله ﷻ؛ ومن فوائدها أنها تصحح للمرء نية العلم، فإن من يتنفس همّ الدعوة إلى الله إذا طلب العلم، فإنما يطلبه ليكون زادًا له في إحياء الإسلام، وخدمة الأمة الإسلامية، وإرشادها إلى طريق ربها سبحانه، وقد قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله في كتابه «مفتاح دار السعادة»: «من طلب العلم ليحيي به الإسلام، فهو من الصديقين، ودرجته بعد درجة النبوة»[1].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٢١).

(٧)
الفوضى المعرفية وترتيب المنهجية العلمية

إذا نظرنا إلى حال كثير من المهتمين بالقراءة والمحبين لها نجد أنهم ـ وإن كانوا قد تجاوزوا مشكلة الكسل والخمول ـ وقعوا في فخّ الفوضوية والشتات.

ألست ترى تنقلهم بين البرامج العلمية لا يتمون أكثر ما ابتدأوه منها؟

وألست تلحظ شكوى الكثير منهم بعد سنوات من الاهتمام بالقراءة أنهم لا يتذكرون من مقروءاتهم شيئًا سوى عناوين الكتب وأسماء المؤلفين؟!

ثم إنك إذا أمعنت النظر، واقتربت من الواقع أكثر، فسترى أن منهم من لم تزده القراءة إلا اضطرابًا وقلقًا، فلم تدفع عنه شبهة، ولم تحل له إشكالًا، ولم تَقُد أفكاره للبناء والرقي، بل شتّتَتْ ما كان من أمره مجتمعًا، وبدّدَتْ من حاله ما كان مؤتلفًا.

كما أن من هؤلاء الموصوفين بعدم الترتيب المنهجي في بنائهم المعرفي من يقع في وحل الجهل المركب، فيرى في نفسه مثقفًا مؤهلًا للخوض فيما لا يحسن! أليس قد قرأ للفيلسوف والإمام والمفكر والروائي؟ فما المانع من أن يشاركهم في تخصصاتهم بالنقد والتوجيه والاعتراض؟! وبما أن منابر شبكات التواصل الاجتماعي متاحة لأي أحد فليتخذ له منبرًا لنشر ثقافته، وسيجد له من المتابعين والمؤيدين ما قد لا يتحقق لأفضل المتخصصين في مجالاتهم العلمية! وبهذا يتم تسطيح العلم وتقزيم المعرفة.

وبعكس ذلك: فإنَّ مِنْ أهَمِّ الثَّمَرات التي تتحقق عند تنظيم المعرفة وإحكام بنيانها لدى الفرد المسلم= احترام العلم، وتقدير العالِم، وسمو النقد، والرقي بالمجالس والحوارات، ومن ثم صناعة حالة معرفية عامة متسقة محكمة، تكون مساهمة في إدارة عجلة الرقي بالأمة ونهضتها.

قواعد منظمة للقراءة والبناء المعرفي:

القاعدة الأولى: تقسيم الكتب والمواد إلى مراتب والتعامل مع كل مرتبة منها بما ينبغي لها:

لكل مرحلة معرفية يمر بها طالب العلم كتب تخصها وتناسبها، ولا يصلح تقديم المتأخر منها على ما ينبغي تقديمه.

وهي بهذا الاعتبار على **خمسة أقسام**:

أ ـ القسم الأول: كتب مداخل العلوم والتأصيل الأولي «مرحلة التأصيل»:

لُكُلِّ عِلْم من العُلوم مواد تأصيلية أولية تفتح أبواب هذا الفن وتُعرِّف الطالب بمسائله، وهي ضرورية في قانون التدرّج؛ لأن سنة العلم الماضية هي البدء بصغار العلم قبل كباره، ومن لا يلتزم بها فإنه يقع في إشكالات متعددة، منها: الانقطاع وعدم الاستمرار.

وكُتُب القسم الأول تتفرع إلى **فرعين**:

الأول: مداخل العلوم.

الثاني: المتون التأصيلية الأولية.

فأما مداخل الفنون فتتناول **ما يلي**:

أ ـ التعريف العام بالفن المراد دراسته.

ب ـ التعريف بأهم كتبه ورموزه.

ج ـ التعريف بأهم موضوعات العلم.

د ـ التعريف بتاريخ العلم.

وأما المتون التأصيلية فتتناول أصول مسائل الفن وأهم أحكامه؛ بدون أدلة أو بذكر الأدلة مختصرة.

فالمداخل تُعَدّ مقدمة لهذه المتون وللفن بشكل عام.

● **طريقة التعامل مع كتب مرحلة التأصيل:**

١ ـ من المهم في كتب المرحلة التأصيلية أن تُقرأ على متخصص أو مشتغل بالفن الذي ينتمي إليه الكتاب؛ كونها الخطوة الأولى نحو فهم هذا الفن وإدراكه. فإن لم يجد الطالب متخصصًا في بلده ليتلقى عنه مباشرة، فلا بأس من تعويض ذلك بالدروس المصورة المرفوعة على الشبكة.

ولا يكاد يوجد مجال معرفي ـ وخاصة الفنون الشرعية ـ ليس فيه من هذه الدروس المصورة لكبار المتخصصين، وهذه من النعم الكبيرة على أهل الأعذار والغربة والأشغال.

٢ ـ وهذه المتون يحسن حفظها لمن لديه القدرة والوقت الكافِيَيْن.

ب ـ القسم الثاني: الكتب البنائية «مرحلة البناء»:

إذا كان افتتاح كل علم يكون بأمرين هما (التعرف على ملامح العلم عن طريق دراسة مدخلٍ إليه + دراسة متن تأصيلي فيه) فإننا نتحدث هنا عن كُتبٍ بنائية تكون غالبًا شارحةً للكتب التأصيلية، فهي تزيد عليها بذكر الفروع والأدلة وأقوال العلماء وذكر الضوابط والقواعد وما إلى ذلك.

● والمطلوب في التعامل مع كتب هذه المرحلة قراءتها مرتين أو ثلاث مرات، إذ إن الذي يميز الكتب البنائية عن كتب القسم الأول أن فيها مزيدًا من التفصيل والأدلة

والأقوال؛ فيلزم تكرار القراءة فيها وإلا ستذهب المعلومات.

• ومن المهم في هذه المرحلة وجود المشرف العلمي. وهذا يختلف عن المرحلة الأولى التي تكون الدراسة فيها كلها على يدي متخصص أو مشتغل بالعلم.

ولكن في المرحلة الثانية ليس بالضرورة أن يُدرس كل الكتاب على يدي الشيخ أو المعلم، وإنما يكون مشرفًا فقط، يُرجَع إليه فيما يُشكل في أثناء القراءة.

مثال: قد يدرس الطالب في العقيدة في مرحلة التأصيل: «متن العقيدة الطحاوية» على يد متخصص يفك له عباراتها وغوامضها، ويذكر له أهم مسائلها. ولكن في مرحلة البناء، يقرأ بنفسه شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ويكرره مع مراجعة المشرف فيما يُشكِل عليه ويغمض.

ج ـ القسم الثالث: الكتب المركزية «مرحلة التمكين»:

إذا أمعنت النظر في كل تخصص معرفي ستجد أن فيه كتبًا تحظى باهتمام بالغ من ذوي الشأن والاختصاص، فتكثر شروحاتهم عليها وتعليقاتهم وملاحظاتهم، أو يتواردون على التوصية بالكتاب وذكر أهميته وأثره، كما أن هذه الكتب المركزية تكون جامعة لأصول العلم الذي تتحدث عنه، وأحيانًا تكون مركزية الكتاب لكونه أول كتاب أُلِّف في فن معين، فيحمل في طياته جذور الفن ومنطلقاته وركائزه.

وفي الحقيقة فإن من أعظم أسرار التميز المعرفي: الاهتمام بهذه الكتب المركزية قراءة وتفهمًا ومراجعة ونظرًا.

وقد كان من سُنَّة العلماء العناية بمثل هذه الكتب، وتكرار قراءتها، فعلى سبيل المثال لُقِّب الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد الأُشْمُومي الشافعي بـ(الوجيزي) لحفظه كتاب (الوجيز) في الفقه الشافعي للغزالي وعنايته به، ولُقِّب الإمام الزركشي بـ«المنهاجي» نِسبةً إلى «منهاج الطالبين» للإمام النووي[1].

وجاء في «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي، في ترجمة المزني صاحب الشافعي أنه قال: «أنا أنظر في كتاب «الرسالة» منذ خمسين سنة، ما أعلم أني نظرتُ فيه مرَّةً إلا وأنا أستفيد شيئًا لم أكن عرفته»[2].

وذكر الذهبي في «سِيَر أعلام النُّبلاء» في ترجمة القاضي الرَّامَهُرْمُزي مؤلف الكتاب الذائع (المحدِّث الفاصل)، قال: «ما أحسنه من كتاب! قيل: إنَّ السِّلَفِي ـ يقصد أبا طاهر السِّلَفي بكسر السين ـ كان لا يكادُ يُفارق كُمَّه»[3]. أي: إنه كان يدمن النظر في هذا الكتاب.

---

(١) المشوق إلى القراءة وطلب العلم، علي العمران الطبعة الثانية (ص٩٧).

(٢) طبقات الشافعي الكبرى، السبكي (٢/ ٩٩).

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة (١٦/ ٧٣).

• كيف نتعامل مع هذا النوع من الكتب؟

الجواب: بالتكرار، ولا يُكتفى بتكرارها مرتين أو ثلاثة بل يجب ألا يقل التكرار عن خمس مرات، ولا يعني ذلك أن يكون التكرار متتاليًا، بل المقصود أن تتم مراجعته مرارًا ولو كان في كل نصف سنة مرة.

ولضمان الإحاطة بالكتاب واستيعابه ينصح بتلخيصه إلى جانب التكرار، وسيأتي ذكر قواعد التلخيص إن شاء الله تعالى.

• أمثلة على كتب مركزية:

في علم الحديث: «مقدمة ابن الصلاح».

في علم أصول الفقه: «الرسالة» للشافعي.

في مقاصد الشريعة: «الموافقات» للشاطبي.

في السيرة النبوية: «سيرة ابن هشام».

في النحو: «شرح ابن عقيل على الألفية».

في علوم القرآن: «البرهان» للزركشي.

في الرقائق والسلوك: «رياض الصالحين ومدارج السالكين».

في التاريخ الإسلامي: «البداية والنهاية» لابن كثير.

وليست هذه الأمثلة على سبيل الاستقصاء والحصر.

• **ملاحظة (١)**: الكتب المركزية ليس بالضرورة أن يكون لكل فن كتاب واحد منها، بل يمكن أن يكون في الفن عدة كتب مركزية، ثم إذا تعمقت في تخصصات الفن، فستجد كتابًا أو كتبًا مركزية في كل فن.

ففي علوم الحديث مثلًا: يضاف شرح علل الترمذي، وتحرير علوم الحديث، أو فتح المغيث للسخاوي. ليكون المجموع مع ما سبق ذكره ثلاثة كتب.

• **ملاحظة (٢)**: في بعض الأحيان يقع اشتراك بين المرحلة الثانية (البنائية) والمرحلة الثالثة (التمكين)؛ وذلك أنه قد يقع التميز لبعض الكتب الشارحة للمتون التأصيلية بالوصول إلى درجة عالية من التحرير والشمولية والإتقان وحسن العرض والمعالجة لمسائل الفن، فتحظى بعناية كبيرة من أهل الاختصاص، فتكون مشتركة بين البناء والتمكين في نفس الوقت.

مثال: كتاب «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي الذي سبق ذكره في المرحلة الثانية، فإن هذا الكتاب يمكننا أن نعده من الكتب المركزية في مجال الاعتقاد النظري.

• **ملاحظة (٣)**: كما يقع الاشتراك أحيانًا بين المرحلتين: الثانية والثالثة، فإنه قد يقع الاشتراك بين كتب مرحلة التمكين وكتب مرحلة التخصص أو الكتب المطولة.

فعلى سبيل المثال: يحتل «تفسير الطبري» مكانة استثنائية في علم تفسير القرآن، ويصح أن يوصف بالكتاب المركزي دون تردد؛ لأنه صار قطبًا دار في فلكه المفسرون وأشادوا به كثيرًا حتى إنه قلّ عالم كتب في التفسير بعده دون أن يرجع إليه ويطالع ما كتبه على الآيات القرآنية من بيان ورواية وتفسير.

على أنه في الوقت ذاته يُعَد من الكتب المطولة في مجال التفسير.

د ـ القسم الرابع: كتب التخصص:

يُقصد بكتب التخصص الكتب التي تتناول مسائل أو موضوعات معينة من الفن بدراسة خاصة، فعلى سبيل المثال في الفقه نجد كتبًا تتحدث عن أحكام المعاملات المالية المتعلقة بالمصارف والبنوك من جهة فقهية، وفي الحديث نجد كتابًا يتحدث عن منهج البخاري في التعليل، وفي أصول الفقه نجد كتابًا يتحدث عن أفعال النبي ﷺ والأحكام المتعلقة بها، وفي علوم القرآن نجد كتبًا تتحدث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن؛ وهكذا.

● وهذا القسم لا ينبغي البدء به قبل إتمام القسم الثالث (التمكين)، أو على أقل تقدير ضبط المستوى الثاني جيدًا.

• من الأمور التي تشعرك بالإنجاز: (التخصص) في مجال معرفي معين؛ لأن تراكم المعرفة، وتكرار القراءة، وتكريس البناء في مجال محدد: يؤدي إلى عمق الفهم لهذا المجال، وإدراك مداخله ومخارجه وتاريخه ومكوناته، ومن ثم يستطيع المرء المشاركة في هذا المجال بالكتابة أو المحاضرة وغير ذلك، وهذه المشاركة تشعر الإنسان بالثقة الكبيرة.

هـ ـ القسم الخامس: المطولات والكتب الموسوعية:

ينتهي سلم كتب كل فن بالمراجع الكبرى والمطولات الواسعة التي كُتبت فيه، وهذه المطولات يُستَودَع فيها كل شيء متعلق بهذا الفن، ولا يشذ عنها إلا قليل من الموضوعات، وهي كتب مهمة للمتخصص، فإذا تخصصت في مجال فلا بد أن تكون عندك أمهات الكتب فيه ومطولاتُها.

• الكتب المطولة ليس بالضَّرورة أن تُقرأ كاملةً، وإنما تكون مرجعًا للبحث والتحليل والتحضير.

ومن الجيد للمتخصص أن يقرأ كتابًا على الأقل من المراجع الكبرى في فنّه.

• **أمثلة على المطولات:**

كتاب «المغني» لابن قدامة المقدسي في الفقه الحنبلي،

وكتاب «المجموع» للنووي في الفقه الشافعي، وكتاب «تفسير الطبري في التفسير»، وكتاب «فتح الباري في فقه السُّنَّة»... إلخ.

القاعدة الثانية: قسم قراءتك إلى أنواع، وأعط كل نوع ما ينبغي له:

يمكننا تقسيم أنواع القراءة إلى ثلاثة أنواع، كل نوع منها له نظامه؛ فإذا رتبتَ نفسك وقراءتك على هذه الأنواع فستبعد عنك بابًا عظيمًا من أبواب الشتات المعرفي:

١ ـ النوع الأول: قراءة الاطلاع والاسترواح:

والمقصود بها: الاطلاع غير المجدول على بعض الكتب دون ضرورة إتمامها، ويلبي هذا النوع من القراءة حاجة النفس وتشوفها لمطالعة الجديد من الكتب، واسترواحها بالكتب الممتعة في الأدب والشعر والقصص والتاريخ وما إلى ذلك. كما أنها تعطي القارئ مساحة من المرونة والتنوع، وتكسر شيئًا من الصرامة والسأم اللذين قد يقع فيهما الإنسان إذا ما وضع لنفسه جدولًا مقيدًا ودقيقًا.

فهذا النوع ينبغي أن يكون موجودًا عند القارئ وطالب العلم، ولكن لا بد أن يُصنفه في ذهنه، فحين يقرأ بهذا النوع من القراءة يجب أن يكون مدركًا أنه يقرأ للاطلاع، لا للبناء، ولا للتأصيل، ولا للتمكين أو التخصص.

وينبغي أن يضع حدًّا لهذه القراءة فلا يجعلها تأخذ كل وقته، ولا يجعلها الأصل، وإنما الأصل الذي ينبغي أن يسيطر على غالب وقته المعرفي هو النوع الثاني من القراءة.

٢ ـ النوع الثاني: قراءة بناء السلم المعرفي:

هذا النوع من القراءة يستلزم وضع خطة متدرجة يسير القارئ وَفقها بتدرج وروية؛ لأن أبواب المعرفة كثيرة متفرقة متفاوتة، ولن يستطيع المرء الوصول إلى ما يطمح إليه من معرفة مثمرة ومفيدة دون السير على سلم معرفي يراعي سنة التدرج والبناء المنظم. وعلى هذا الأساس قسمتُ مراحل بناء هذا السلم إلى المراحل الخمسة التي سبق ذكرها في أقسام الكتب في القاعدة الأولى؛ **وهي**:

أ ـ التأصيل.

ب ـ البناء.

ج ـ التمكين.

د ـ التخصص (وتشمل كتب التخصص والكتب المطولة).

• **ملاحظة**: المطلوب من القارئ الذي يريد أن يبني معرفة جيدة أن يأخذ من أصول الفنون ما يجعله متمكنًا من أهم أبوابه، ولذلك لا غنى له عن إتمام المرحلة الثانية، ويستحسن أن يتم المرحلة الثالثة أيضًا من كل الفنون، ثم

يتفرغ لواحد منها فيتخصص فيه، فإذا بلغ في التخصص مبلغًا حسنًا، يمكنه أن يتخصص في فن آخر؛ وهكذا.

٣ ـ النوع الثالث: قراءة حل النوازل:

تطرأ على الإنسان أمور في حياته اليومية تضطره للرجوع إلى مصادر تعينه على معرفة الصواب فيها؛ سواء من الناحية الفقهية أو العقدية، كحال المسافر إن أراد معرفة أحكام الجمع والقصر، ونحو ذلك، فهذا النوع من القراءة يُتعامل معه بظرفه الزمني أو المكاني، ولا ينبغي أن يَشغل القارئ حتى يكون مرتهنًا به.

القاعدة الثالثة: دوّن الفوائد بأنواع التدوين الثلاثة:

يقلّل البعض من قيمة التدوين ويُعلون من شأن الحفظ، ويعكس آخرون القضية.

وعند النظر والتأمل فإن التوازن بينهما هو الأصوب والأكثر نفعًا.

وسأعرض باختصار لأهم أنواع التدوين التي تفيد طالب العلم وتشكّل له مع مرور الوقت مرجعًا خاصًّا تكثر فائدته ويعظم نفعه.

أ ـ التدوين على الكتاب نفسه:

تعوَّدْ على ملء الصفحات البيضاء الفارغة في أول

الكتاب وفي آخره بالفوائد الجديدة عليك من نفس الكتاب، وذلك بكتابة رأس الفائدة ورقم الصفحة.

ولا تَدَعْ معلومة ذات قيمة ـ سواء أكانت متعلقة بصلب الكتاب أم كانت من الفوائد المذكورة في الحواشي أو في استطرادات المؤلف ـ دون تدوين.

وهذا مفيد جدًّا في المراجعة لاحقًا.

ب ـ التدوين في الدفتر الجامع للفنون:

من الحسن أن يكون لدى طالب العلم دفتر كبير مقسم إلى فنون متنوعة، ينقل إليه المهم والمركزي من الفوائد المتعلقة بهذا القسم مما قرأه في بطون الكتب، أو استمع إليه من أهل العلم والاختصاص.

فيصبح هذا الدفتر بعد زمن موسوعة جميلة من الفوائد المهمة المقسمة على الفنون والعلوم.

ج ـ التدوين في دفتر التخصص:

إذا تخصصت في علم معين أو اهتممت به اهتمامًا بالغًا، فلتجعل لنفسك دفترًا خاصًّا بهذا العلم لا تكتب فيه أي فائدة ليست متعلقة به، ولتنقلْ إليه تلك الفوائد من مختلف الكتب التي تقرؤها في شتى الفنون، ولنفترض مثلًا أنك مهتم بالتاريخ الإسلامي، فإنك ستجد معلومات تاريخية في أثناء قراءتك في كتب الفرق والمذاهب، وفي كتب

العقائد، وكذلك في كتب الأدب، وفي كتب السياسة، وفي الفلسفة، وغير ذلك.

فكل فائدة (مهمة) تمر عليك مما لها ارتباط بالتاريخ؛ سواء وجدتها في كتب التاريخ أو في غيرها، فلتنقلها إلى هذا الدفتر الخاص بالتاريخ، ثم ستجد بعد سنوات أن هذا الدفتر قد صار من أغلى ما لديك؛ لأنك نقشت حروفه على مدى سنوات طويلة من بطون الكتب، وستكرره مستمتعًا بفوائده حتى تحفظه أو تكاد.

القاعدة الرابعة: لخّص الكتب المهمة والمركزية:

إن من أهم ما يرسخ المعلومات ويُقربها للمراجعة السهلة أن يكتب القارئ خلاصة الكتاب المهم الذي يرى أنه يفيده كثيرًا في مسيرته ومنهجيته المعرفية، وقد عُرف بعض العلماء بالعناية التامة بتلخيص الكتب كالإمام الذهبي الذي لخص مائتي كتاب تقريبًا، كما ذكره د. بشار عواد في كتابه عن الإمام الذهبي وتاريخه.

ولا بد لطالب العلم أن يعتني بالتلخيص عناية تامة، وسأذكر بعض القواعد المختصرة في موضوع التلخيص:

١ ـ ليس كل كتاب يلخص؛ وإنما تلخص الكتب المركزية، وبعض الكتب البنائية المهمة.

٢ ـ طريقة التلخيص تبدأ برسم الخارطة المعرفية

للكتاب عبر تشجير موضوعاته وعناوينه وفصوله، ثم تُنقل هذه المشجرة إلى دفتر تُفرّق فيه؛ أي: تُكتب كتابة نثرية فيه مع تباعد فيما بينها، ثم تُملأ خلاصات المعلومات المتعلقة بهذه العناوين من الكتاب.

وباختصار، فالفكرة هي أن نضع خطة التلخيص أولًا؛ عبر كتابة العناوين، ثم نملأ المعلومات ونسد الفراغات.

٣ ـ التلخيص لا يتناول الاستطرادات التي لا علاقة لها بصلب موضوع الكتاب؛ بل محل هذه الاستطرادات أن تُكتَب في الصفحات البيضاء في أول الكتاب؛ بحسب ما سبق بيانه في النوع الأول من أنواع التدوين.

٤ ـ من المهم جدًّا مراجعة التلخيصات بين كل فترة وأخرى.

القاعدة الخامسة: التكرار سر علاج النسيان:

لا تحل مشكلة النسيان بخلطة سحرية أو ضربة حظ، وإنما حلها يكمن في تكرار المقروء من كتب مركزية ومحاولة هضمها واستيعابها على أتم وجه؛ فتكرار الكتب المركزية في كل فن خمس مرات تقريبًا سيرسخ كثيرًا من المعلومات، ومن المعينات على ذلك ما سبق ذكره في التدوين والتلخيص، فالكتابة المستخلصة من الكتب المقروءة يسهل مراجعتها، والمراجعة تثبّت المعلومات.

وصايا عامة في القراءة:

ـ إذا اقتنيتَ كتابًا جديدًا فأشبع نهمتك بالاطلاع على فهرسه ومواضع منه، ثم لا يقطعك عن جدولك القرائي.

ـ إذا ابتدأت في قراءة كتاب فلا تتركه حتى تتمه. (ويستثنى من ذلك الاطلاع على الكتاب الجديد، والكتاب الذي يستبين لك أنه بالغ العسر عليك عبارة: وكذلك ما يُقرأ للاطلاع والنوازل).

ـ لا تقرأ الكتاب مرة واحدة إلا إذا كان جزئيًّا أو تكميليًّا أو رواية.

ـ افهم الخارطة المعرفية للكتاب.

ـ اكتب الخارطة المعرفية للكتاب.

ـ تكرار الكتب المركزية سرٌّ من أسرار التقدم المعرفي والإتقان.

ـ اعرف موقع الكتاب وتسلسله في قائمة العلم الذي ينتمي إليه وسياقه الزمني.

ـ كلما كونت قاعدة معرفية حول موضوع ما= سهل عليك الازدياد فيه وفهم الكتب المتعلقة به وسرعة قراءتها.

ـ بعد قراءة كل خمسة كتب جديدة راجع كتابين سبقت قراءتهما.

ـ إذا أشكل عليك شيء في أثناء القراءة فلك أن تراجعه إن كان لا يقطعك؛ وخاصة إذا كان يدور حوله كلام كثير، وإلا فالأفضل الاستمرار في القراءة.

وختامًا... طالب العلم والمعنى الرسالي:

إذا كانت نية طالب العلم عظيمة متعلقة بالإسلام وأهله من جهة الإصلاح والإحياء، فلا بد أن يظهر ذلك عليه، وهذه بعض الآثار التي تظهر أو ينبغي أن تظهر على طلاب العلم الذين يريدون بطلبهم إياه إحياء الإسلام:

١ ـ إدراكهم لأهمية الوقت وحرصهم على ساعات أيامهم وعدم إهدارها.

٢ ـ توقد عزائمهم، وتجدد هممهم، وارتباطهم الدائم بالعلم.

٣ ـ التزامهم بالمعنى الرسالي في تحديد خارطتهم العلمية والإصلاحية؛ لا بما يُفرَض عليهم من نتائج الخلافات والصراعات وحظوظ النفس التي تؤطر مسيرتهم وتحجم أهدافهم وتضيق آفاقهم!

٤ ـ استقامتهم السلوكية بموافقة أعمالهم لمعلوماتهم.

٥ ـ سدهم للثغور العلمية التي يفتحها الأعداء في بنيان الإسلام، فيجاهدونهم بالقرآن جهادًا كبيرًا، ويُظهرون الدين بالحجة والبيان والبرهان على الدين كله، ويراغمون المنافقين بكشف مكائدهم وتضليلاتهم البيانية التي يلمزون فيها الحق وأهله.

٦ ـ اهتمامهم بأمر المسلمين، واجتهادهم في معرفة

أحوالهم، وفي تعلم ما يجعلهم مدركين لما يحتاجه واقع المسلمين من إصلاح.

٧ ـ لا يجعلون من تعليمهم العلم وسيلة لبناء مجدهم الدنيوي أو لزيادة أرصدتهم المالية، بل يبذلون العلم لمن يحتاجه بقدر استطاعتهم؛ دون مزايدات واشتراطات تحرف العلم عن مساره إلى مسار التجارة والأموال.

٨ ـ قلة خلافهم على إخوانهم.

وقد يبدأ البعض مسيرته العلمية بهذه النية الشريفة ثم ينحرف عنها ويتبع هواه أو تقعد به همته بسبب ذنوبه، فليذكر المرء نفسه بالغاية دائمًا، وليكثر من الاستغفار ليصفو له القلب، وليتوكل على الله توكلًا حقيقيًّا جازمًا في مسيرته للإسهام في إحياء الإسلام.

(٨)
أهمية إدراك الجيل الصاعد للسياق التاريخي الحديث

إن المرحلة الزمنية التي يعيشها الجيل الصاعد مرحلة في غاية السخونة والاضطراب؛ من الناحية السياسية والأحداث الكبرى، كما أنها مرحلة اضطراب فكري كبير، وتفرق واختلاف بين المسلمين.

والذي لا يفهم شيئًا من مكونات الواقع الذي يعيشه فإنه يكون لقمة سائغة للجهل والتضليل والشائعات.

ومما لا شك فيه أن المعرفة الواعية بالتاريخ الحديث ـ ابتداءً من حملة نابليون على مصر تقريبًا ـ من الناحية السياسية والفكرية تعطي أهم المفاتيح لإدراك الواقع، فالقرنان الماضيان ضمّا واحتويا بذور الأشجار التي تُظلنا اليوم بظلال من يحاميم سوداء حالكة.

وقد كان العلماء يقولون متحدثين عن التاريخ القديم:

«إن من لا يقرأ التاريخ لا يفهم الواقع»، وهم يقصدون بذلك فهم سنن التاريخ التي تتكرر، غير أن قراءة التاريخ الحديث تزداد أهمية على قراءة التاريخ القديم بمراحل، فالقضية ليست مجرد فهم فلسفة التاريخ واستخراج السنن منه ـ وهذا مهم جدًّا ـ وإنما القضية أنك تعيش اليوم أحداثًا متصلة اتصالًا محكمًا وثيقًا بحبال متينة بالأمس، فمن يرى اليوم وحده لن يفهم شيئًا.

ولكنّ هذه المعرفة تتطلب جهدًا كبيرًا، وجلَدًا على القراءة والمطالعة ومشاهدة الإنتاجات التاريخية المرئية المعتبرة، ولا يوجد كتاب ـ فيما أعلم ـ يجمع كل ما ينبغي معرفته عن القرنين الماضيين، فالمطلوب تنويع المصادر لتحقيق هذه المعرفة من مختلف اتجاهاتها.

وستجد ـ في طريق معرفتك بهذا التاريخ المهم ـ عوامل وأحداثًا كبرى اجتمعت في أزمنة متقاربة بالنسبة لعمر هذه الأمة المحمدية: (الاستعمار ـ الاستشراق ـ التغريب ـ الحروب العالمية ـ الصهيونية ـ حروب الاستقلال ـ الانهزام الحضاري ـ سيطرة الإعلام ـ الاسترقاق القيمي ـ الدولة الحديثة ـ القومية العربية ـ العلمانية ـ الاشتراكية ـ الشيوعية ـ. . .).

وستمر بك شخصيات يتطلب تحقيق القول فيها قراءة

عدة كتب، كشخصية جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده، وأحيانًا تمر بك أحداث أو قضايا تحتاج إلى مطالعة عدة مصادر لفهمها على وجهها؛ كدور النصارى العرب في اختراق التماسك الإسلامي عبر الصحافة في القرن التاسع عشر وتأثير ذلك على ما بعده.

وسأذكر أهم العناصر والموضوعات التي ينبغي أن تراعي البحث فيها وتتطلب الجواب عنها، والتي يمكن أن تُرتِّب لك الخارطة المعرفية المجملة للقرنين الماضيين.

أولًا: القرن التاسع عشر ميلادي ونهايات القرن الثامن عشر:

ـ لمحة عامة عن طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية قبيل حملة نابليون على مصر.

ـ حملة نابليون وتفاصيلها.

ـ فهم الصراع الانجليزي الفرنسي في تلك المرحلة.

ـ لماذا لم تحقق حملة نابليون غاية أهدافها؟

ـ حُكم محمد علي باشا (النشأة والسيرة والآثار ـ العائلة والأبناء الذين حكموا إلى منتصف القرن العشرين).

ـ البعثات التعليمية التي أرسلها محمد علي باشا.

ـ رفاعة الطهطاوي وحسن العطار.

ـ الاستعمار الفرنسي للجزائر.

ـ حرب محمد علي باشا على الدرعية «تاريخها وآثارها وموقف علماء القرن التاسع عشر منها».

ـ نشوء الصحافة العربية ودور النصارى العرب فيها.

ـ استعمار انجلترا للهند وتأثيره على الحركات الدينية هناك.

ـ توسع الاستعمار في المنطقة العربية.

ـ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

ـ حكم السلطان عبد الحميد والأحداث التي وقعت في نهايات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

ـ الحركة الصهيونية (الجذور ـ النشأة ـ الأفكار ـ الأحداث والمؤتمرات في القرن ١٩).

ثانيًا: القرن العشرون:

ـ الهيمنة الإنجليزية العظمى وممالكها.

ـ نهاية حكم السلطان عبد الحميد وسيطرة الاتحاديين.

ـ وعد بلفور.

ـ الحرب العالمية الأولى.

ـ نهاية الدولة العثمانية.

ـ مقاومة الاستعمار فكريًّا وعسكريًّا وعلميًّا في مصر والجزائر والمغرب وتونس.

ـ الإصلاح العلمائي في الجزائر (ابن باديس والإبراهيمي) والفكري (مالك بن نبي).

ـ الشيوعية.

ـ تحرير «تغريب» المرأة في المنطقة العربية؛ قاسم أمين أنموذجًا).

ـ الأدباء العرب في النصف الأول من القرن العشرين وتأثيراتهم (المدرسة المصرية أنموذجًا).

ـ الجذور العلمانية في المنطقة العربية (علي عبد الرازق وكتابه أصول الحكم أنموذجًا).

ـ احتلال فلسطين.

ـ المستشرقون (رموزهم ـ نشاطهم ـ مؤلفاتهم أهدافهم).

ـ الجماعات والحركات الإسلامية بكل اتجاهاتها في القرن العشرين والقرن (٢١).

ـ الحرب العالمية الثانية.

ـ الأمم المتحدة والنظام العالمي.

ـ حروب الاستقلال وما تلاها.

ـ جمال عبد الناصر «دراسة تفصيلية معمقة».

- سقوط الاتحاد السوفييتي وانهيار الشيوعية.

- صعود الليبرالية الغربية وانتشارها.

- الحداثيون العرب في المدرسة المغربية (تونس والمغرب: أركون، الجابري، الشرفي) والمدرسة المصرية (حسن حنفي. . .).

- العولمة.

- ثم تاريخ وأحداث القرن (٢١) وهي التي نعيشها الآن.

(٩)
تحدي الشهوة والحب والزواج

مما لا يشكّ فيه معايش للواقع: أن من أشد الأمور التي تلح على شباب اليوم ـ ذكورًا وإناثًا ـ موضوع الحب والزواج وما يرتبط بهما من قضايا، بل ربما تكون هذه القضية هي الأولى على الإطلاق؛ من حيث ملامستها للشباب بصورة متكررة وملحّة أينما اتجهوا.

وأنا أدرك جيدًا أنَّ هذا الموضوع معقد ومتشابك ويتطلب تفصيلًا طويلًا ونقاشًا عميقًا، ولأجل ذلك فقد أمضيت في تحضيره وقتًا غير قليل؛ إضافة إلى أنني استشرت وقرأت فيه لمتخصصين ورجعت فيه إلى تجارب، ومع ذلك فإن ما كتبته فيه هنا لا يُعَد كافيًا، ولكن فيه ما يفيد بإذن الله تعالى.

وقد قسمت الحديث فيه إلى **ثلاث مراحل**:

الأولى: مرحلة ما قبل الزواج (تحدي الشهوات والعلاقات).

الثانية: في الطريق إلى الزواج (الاختيار وخطوات الزواج).

الثالثة: مرحلة ما بعد الزواج (التعامل وإدراك المسؤولية).

أولًا: مرحلة ما قبل الزواج (تحدي الشهوات والعلاقات):

نحن نعيش في زمن ربما لم يمر على البشرية منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى يومنا هذا زمن مثله؛ من ناحية طبيعة انتشار الشهوات وبواعثها والتفنن في الدعوة إليها بشتى صور الدعاية والإعلام، حتى صارت الإباحيات صنعة متكاملة لها أهلها ومنتجوها وممثلوها وشركاتها ومصانعها ومخرجوها ومروجوها، وأصبحت تجارة ضخمة تُدخِل أموالًا طائلة على عرّابيها.

ومع تواصل الانحطاط وتتابع سيل الإباحيات انتقلوا إلى التجديد في نوع ما يُعرَض، فروّجوا للشذوذ والمثلية، وبرّروا زنى المحارم ودعوا إليه بشتى الوسائل، ومُرّرت بذلك شتى أنواع الرذيلة إلى الناس، متجاوزة كل القيم والحدود الأخلاقية التي طالما اتفق عليها العقلاء؛ فضلًا عن أهل الدين والورع، بل لقد تم تجاوز قيم الحرية والخصوصية التي

يتغنون بها، فصار يُعرَض على مستعمل الشبكة ـ دون طلب ولا بحث ـ صور من عَفَن هذا العالم اللاأخلاقي بمختلف طرق الدعاية.

وفي المقابل، تزداد الدائرة ضيقًا على الحلال، فالزواج المبكر يُحارَب فكريًّا وثقافيًّا؛ فضلًا عن كونه عسرًا جدًّا من الناحية المادية والاجتماعية؛ بل إننا اليوم أمام حملة محاربة الزواج نفسه؛ سواء أكان مبكرًا أو متأخرًا! وصار من المستحيل ـ تقريبًا ـ في أغلب دول العالم العربي أن يتزوج الشاب قبل أن يتخرج من الجامعة (بعمر ٢٣ عامًا) ثم يجد وظيفة مناسبة (في سن ٢٥ أو أكثر)، ثم يبدأ بتكوين نفسه ماديًّا حتى يمكنه البدء بالخطوات العملية للزواج (٢٧/ ٣٠)، وهذا برأي الدكتور عبد الرحمٰن ذاكر الهاشمي: «جريمة متكاملة الأركان في حق الشباب والبنات»؛ وهو كما قال؛ لأنه ليس من الطبيعي ـ أبدًا ـ أن يبلغ الشاب في عامه الخامس عشر تقريبًا، ثم يواجه كل هذا الكم من التحديات في الشهوات ثم لا يستطيع أن يصرف شهوته في الحلال، وبالنسبة للفتيات فالمشكلة تظهر بصورة أكبر من الناحية العاطفية والاجتماعية والنفسية، بينما في الشباب تتمثل المشكلة من الناحية الجنسية بصورة أكبر وأكثر حدَّةً؛ مع حضور القضية العاطفية بطبيعة الحال، وهذا الفرق راجع إلى طبيعة تكوين الجنسين، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ

﴿كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ [آل عمران: ٣٦]. وهذا ما لا يفهمه كثير من الجنسين عن أشقائه في الجنس الآخر.

س: كيف يمكن التعامل بطريقة صحيحة مع تحدي الشهوات قبل الزواج؟

الجواب: بعدة أمور سأذكرها مرتبة:

١ ـ إدراك عاقبة الولوج إلى عالم الشهوات المحرمة:

كثيرٌ من الشباب لا يدرك أثر انسياقه وراء الشهوات المحرّمة؛ سواء أكان ذلك من ناحية الأثر الشخصي أو الأثر المستقبلي على الحياة الزوجية والاجتماعية، والواقع أن كثيرًا من البيوت هُدمت بسبب تعلق طرف من أطرافها بمشاهدة الأفلام الإباحية قبل الزواج، ثم لم يستطع التخلص منها أو تركها بعده؛ فأدت إلى نفور الطرف الآخر ـ بعد اكتشافه للحقيقة ـ ومن ثم انهدام البيت.

وعلى المستوى الشخصي فإن تأثير الإباحيات على تفكير الإنسان وجديته وتركيزه كبير جدًّا؛ خاصة إذا كنا نتحدث عن نخبة من الجيل الصاعد تسعى لبناء معرفي وإيماني متميز.

كما أن تأثيرها على صفاء قلب الإنسان ومن ثم تعبده القلبي وتفكره الإيماني كبير أيضًا.

ولأجل ذلك كله؛ فإن أول خطوة في التعامل مع بحر

الشهوات المحيط هي إدراك العواقب وتصور المآلات السيئة التي يمكن أن تحدث للإنسان؛ إن لم يتدارك نفسه ويهرب من الكارثة، وأن الأمر ليس سهلًا أو مؤقتًا أو عابرًا.

٢ ـ إدراك زيف عالم الشهوات المعاصر وخداعه:

إن ما يُعرض في الأفلام والمقاطع الإباحية إنما هو أوهام وخيالات وصنعة إعلامية ترويجية لا تمتّ للواقع بِصِلة! بل إنها تصنع صورة من الوهم المتوهج الزائف الذي يسيطر على تفكيرِ الإنسان وعقلِه ويجذب إليه ذرات جسده، ثم إذا اصطدم بالواقع الذي سيجده في الحياة الإنسانية الطبيعية بعد الزواج فلن يجد فيه ما كان يراه في الأفلام الدعائية المصنوعة! ومن ثم ـ إن لم يتدارك نفسه ـ فإنه لن يرضى بالواقع الطبيعي، وسيظل لاهثًا خلف الصورة الزائفة التي قُدمت له عبر منتجين متخصصين وكاميرات وممثلين وممثلات إنما يتغذون ويربحون ماديًّا من هذه الصنعة الوقحة!

وما الذي سيحصل لحياته وقلبه وإيمانه وبيته وأولاده ومصدر دخله إذا ظل باحثًا عن الوهم مطاردًا له؟

سيفقد الصفاء والنقاء والحياة البيضاء العفيفة، ويتجه إلى دهاليز مظلمة وعوالم لا تعرف من معاني غايات الوجود شيئًا. ولذلك، فإنني أرجو ممن يقرأ كلماتي هذه ممن هو متأثر ببعض هذه الإباحيات أو يشاهد شيئًا منها، أن يتخذ

قرارًا جازمًا قاطعًا ومباشرًا، وأن يكون صادقًا وحازمًا فيه، بمقاطعتها بالكلية؛ لأنها ليست مجرد نظر إلى حرام ـ وكفى بذلك زاجرًا ـ، وليست مجرد معصية عادية، وإنما هي وحل كامل إذا انزلق الإنسان فيه وغرق في أعماقه؛ فإنه لن تصفو له حياة زوجية ولا معرفية ولا روحية، وسيستعصي عليه الخروج منه مستقبلًا.

ولكن ماذا لو حاول الإنسان الجاد ترك هذا الوحل وعزم على التوبة ثم لم يستطع؛ بمعنى أنه يعود ثم يترك ويعود وهكذا؟

الحل يكمن في دوام المحاولة والتكرار، مع إدمان الاستغفار والدعاء والاجتهاد، وعدم اليأس، ثم إغراق العقل والبدن في أمور وأعمال وبرامج مفيدة علميًّا وصحيًّا واجتماعيًّا؛ حتى لا يبقى للإنسان كبير وقت؛ بشرط أن يكون ذلك مع صحبة صالحة تعين وترتقي بالإنسان.

س: ما الذي يعين المرء على التخلص من مشاهدة الإباحيات؟

قبل الجواب أود القول بأنني على وعي تام بقدر التحديات والصعوبات التي تواجه الشباب في الواقع؛ ولكن هذا لا يمنع من تقديم بعض الوسائل التي قد تعين الإنسان وتدفعه خطوة نحو الأمام، في سبيل إيصاله لمرحلة التوازن

النفسي والتخلص من متابعة الإباحيات، أو عدم الانتكاسة بعد الانفكاك عنها، ومع صعوبة الواقع فالحل ليس مستحيلًا، ونفس المؤمن العزيزة وعزيمته وإرادته تقهر كل ما هو شيطاني بإذن الله تعالى.

١ ـ العزّة والكرامة:

لا تتعامل مع هذه القضية على أنها مجرد شهوة فقط بل على أنها إرادة استعباد لك، ومحاولة لتقزيم عقلك وتقييد تفكيرك واختياراتك من قبل صانعي تلك المواد، فلا ترض بأن تكون أسيرًا عندهم، ولا بأن تكون عبدًا لتلك المشاهد، وانفر منها عزةً وكرامةً وحريةً واستعلاءً بنفسك. واعلم أنها لا تريد تدميرك فقط، بل تقصدك أنت وبيتك وأسرتك ومجتمعك وأمتك، فكن على وعي بهذا الخطر إن أنت استسلمت لها.

٢ ـ الصحبة الصالحة:

مهما تخيلت من أثر حسن لوجود الصحبة الصالحة في حياتك؛ فإنها في الحقيقة أكثر نفعًا وأحسن أثرًا، والصحبة الصالحة إذا كانت محفوفة بالمحبة والصدق والوفاء والتناصح والتعاون على البر والتقوى = فإنها من أعظم كنوز الدنيا وأغلاها، بل إن الدنيا لا يُتحسر على فقدانها إذا لم تكن هذه الصحبة في حياتك، وهي من أهم ما يعين المسلم على

مواجهة التحديات؛ وخصوصًا في هذا الباب الذي نتحدث عنه؛ وهو باب الشهوات.

فاسع إلى البحث عن الصحبة الصالحة التي تعينك وتدفعك للخيرات، املأ حياتك بهم وامض جل وقتك بينهم؛ فإنهم خير معين ومؤنس تستعيض به عن غيره من الملهيات.

٣ ـ الزواج عند القدرة:

إن إرشاد النبي ﷺ للشباب بالزواج واضح وصريح: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**»[(١)]. وهذا التوجيه كافٍ لا يحتاج إلى تعليق وتفصيل من جهة الأهمية، وسيأتي الكلام عن مرحلة الطريق إلى الزواج في موضع قريب بإذن الله تعالى.

٤ ـ الصوم:

وتلك وصيته ﷺ في تمام الحديث الذي سبق ذكره آنفًا، حيث قال بعد الوصية بالزواج: «**فمن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجاء**»؛ أي: وقاية ومانع. وذلك أن الصوم يخفف وطأة الشهوة ويحصر مداخلها.

وقد يقال: إن إرشاد النبي ﷺ إلى الصوم يمكن أن يستفاد منه بصورة أعم في كل ما يمكن أن يفيد في تحقيق أثر الصوم من الوسائل، والله أعلم.

---

(١) صحيح البخاري (١٩٠٥).

حسنًا، وماذا عن الحب والعاطفة والتواصل بين الجنسين في غير إطار الزوجية؟

بدايةً أود أن أشير إلى أننا يجب أن نتخلص من الثقافة التي صُدِّرَتْ ولا تزال تُصدّر لنا عبر المسلسلات والأفلام في قضايا الحب والزواج.

وهل انهارت كثير من علاقات الحب الصادقة الطاهرة إلا حين اشرأبت أعناق المتحابين إلى تحقيق ما تشربوه من ثقافة المسلسلات، فانهارت عليهم آمالهم، وتقطعت أواصر حبهم بسبب ذلك؟!

إن عالم الأفلام والمسلسلات ينتمي إلى فضاء غير الذي ننتمي إليه، إنه ينتمي إلى فضاء التجارة والشهرة والإثارة والصنعة الإعلامية، وهو فضاء لا يتقابل مع الواقع الحقيقي إلا في بعض صوره، ومع الأسف الشديد فإن ما لا يقل عن جيلين أو ثلاثة أجيال من المسلمين قد تأثر كثير من أبنائها بثقافة المسلسلات، وخاصة النساء.

ولَك أن تنظر إلى الثقافة السائدة بين النساء في القضايا التالية:

- التعدد.
- الموقف من أخوات الزوج.
- الموقف من زوجة أخ الزوج.

ـ الحب قبل الزواج.

ـ التصرف عند الغضب من الزوج.

فستجد أن كثيرًا من التصورات المتعلقة بالقضايا السابقة ليست تصورات ذاتية أصيلة، وإنما هي مستعارة من ثقافة الإعلام.

فلكي نسير في الاتجاه الصحيح إلى الحب والزواج فلا بد أن ننتفض ونثور ضد الثقافة المستعارة التي عقّدتْ مشكلاتنا، وعمّقَتْ أزماتنا.

ومن جهة أخرى؛ فإن هناك أناسًا من المنسوبين إلى شيء من العلم الشرعي أو الدعوة والفضل، تعاملوا مع بعض القضايا المتعلقة بالحب والتواصل بين الجنسين بصورة من التشدد غير المقبول، والتضييق الذي لا يتسق مع سعة الشريعة الإسلامية، ومن هنا نشأت حالات من التمرد والنفور دون تمييز بين ما هو من حدود الله وبين ما نشأ عن اجتهادات بعض المفتين مما لم يُوفقوا فيه إلى الصواب.

وبعد هذا كله أقول: أما الحب قبل الزواج؛ فإنه إن كان شعورًا قلبيًّا فهو غير محرم، وهو أصلًا في كثير من أحيانه غير اختياري، وقد يكون فاتحة خير تدفع نحو الحلال، فتحرُّك الشعور بالحب أو الإعجاب من رجل لامرأة أو العكس لا يعد ذنبًا ولا حرامًا، إلا إن أتبعه بقول أو فعل

محرم، كالنظر، أو الخضوع بالقول، أو ما هو أكبر من ذلك كما هو معلوم.

ولكن إذا وجد هذا الشعور وأمكن أن يُتمم بالزواج فليتخذ من يشعر به ما يستطيع من الوسائل المناسبة لتحقيق الزواج، فإنه لم يُر للمتحابين مثل النكاح، كما روي في الأثر[1]، وهذا في إطار الاستطاعة والمناسبة بطبيعة الحال، وهو بالنسبة للرجال أسهل، ولكن بالنسبة للمرأة فيمكنها الإفصاح بذلك عند من يفهمها من محارمها أو صديقاتها؛ ليكونوا وسطاء لها في تتميم حبها، وسيأتي تفصيل القول في المعايير والاختيار في موضع قريب إن شاء الله تعالى.

ولكن: ماذا لو كان الوصول إلى الحلال مستحيلًا ـ وليس فقط صعبًا ـ لمن شعرت تجاهه بالحب؟

هنا لا بد من إخراج النفس من أحلامها، وإدراك الواقع على حقيقته؛ حتى لا تذهب الأعمار سدًى، ولا تنقضي الأيام والليالي في العذاب والألم، وليس معنى ذلك أن يُقلب الشعور إلى كراهية وعداوة كما يفعله البعض! لا، وإنما المطلوب التصالح مع الواقع، وطرد الأوهام، والالتفات إلى ما يمكن تحقيقه.

---

(١) جاء ذلك في حديث مرسل ـ منقطع ـ عن النبي ﷺ.

وقد يقول قائل: وأنَّى لي بذلك؟ كيف يمكنني طرد الشعور الذي سيطر عليّ واستولى على كياني؟

ولا شك أن الأمر في غاية الصعوبة لمن بلغ في الحب درجات متقدمة، ولكن مما يساعد على ذلك أن يوسع الإنسان من دائرة محبوباته، ويرتبها، فأعظم محبة يجب أن تسيطر على قلب الإنسان هي محبته لربه وتعلقه به، وهي المحبة التي يجب ألا تقارنها محبة، ثم محبة رسوله ﷺ، ومحبة ما جاء به، ثم محبة الوالدين والإخوة والأخوات، ثم الأصدقاء أو الصديقات، وكذلك الانشغال العملي بأمر يحبه الإنسان كالعلم أو كمهنة معينة، المهم ألا يستسلم المرء لأسر التعلق بشخص معين لا يرى شيئًا إلا هو!

ثانيا: مرحلة الطريق إلى الزواج (الاختيار وخطوات الزواج):

١ ـ الزواج وطلب العلم:

يتمنّع بعض الشباب ذوي الطموح العالي في العلم والطلب عن الزواج أو التبكير به، ويعتبرونه شاغلًا وصارفًا، ويكثرون الاستشهاد بحال بعض العلماء الذين تفرغوا للعلم وآثروا العزوبة على الزواج.

وفي الحقيقة فإن من يعتقد من الشباب المعاصر أن الزواج ـ الموقف المناسب ـ معيق عن طلب العلم فهو

واهم، بل إن الزواج الطيب المناسب لمن أهم الوسائل المعينة على طلب العلم والاستقرار؛ خاصةً مع تنامي دوائر المغريات والشهوات.

وقد حدّث الله ﷻ نبيّه ﷺ عمن سبقه من الرّسل؛ وهم صفوة خلقه، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، وزاد رسوله ﷺ هذا المعنى تأكيدًا عندما سمع برجل من أصحابه يقول له: إنه لن يتزوج ـ تزهّدًا ـ فقال له الرسول ﷺ: «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**»[(١)].

٢ ـ أهمية متابعة الدورات التعليمية للحياة الزوجية:

يوجد ـ على الشبكة ـ كثير من المحاضرات والدورات المفيدة في فقه الزواج والتعامل بين الزوجين، يُتناول فيها ما يتعلق بأحوال الرجل والمرأة وخصائصهما والفروقات بينهما، وكيف ينظر كل منهما للآخر، وما الذي يتوقعه وينتظره كل طرف من صاحبه، وما الذي يحبه ويكرهه.

ومن المهم متابعة نخبة من هذه الدورات والمواد المفيدة قبل الزواج؛ لأن كثرة التحديات والمشكلات تتطلب

(١) صحيح البخاري (٥٠٦٣).

زيادة معرفة من أهل الاختصاص الذين تعرفوا على كثير من أسباب المشكلات وعواقبها.

والواقع يشهد بتميز أزواج اهتموا بتعلم مهمات ما يتعلق بالحياة الزوجية قبل الزواج؛ حيث استطاعوا التعرف بعمق على ما يحتاجونه تجاه الطرف الآخر.

ومن الأسماء التي أرشح متابعة دوراتهم وأطروحاتهم في هذا السياق: د. ميسرة طاهر، ود. عبد الرحمٰن ذاكر الهاشمي.

٣ ـ الاختيـار:

لا شك أن قضية الاختيار تتربع على سلم الأهمية في الزواج الناجح، وقد أرشد النبي ﷺ إلى أهمية الاختيار بقوله: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[١].

ونظرًا لأن حديثي في هذا الكتاب موجه إلى الفئة الواعية من الجيل الصاعد، المهتمة بإكمال مسيرتها المعرفية والفكرية والإصلاحية والدعوية؛ فإن قضية اختيار شريك الحياة تصبح من أهم الأوليات التي تجب العناية بها؛ لأنها تؤثر تأثيرًا بالغًا على مسيرة الإنسان في مختلف نواحيها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٩٠).

وهنا سؤال؛ وهو: **هل أختار من يشاركني في تحقيق أهدافي أم يكفي أن يكون منسجمًا معي غير معارض لي ولو لم يكن مشاركًا؟**

والجواب دون تردد في الشق الثاني من السؤال، وهو الموافقة وعدم المعارضة ولو لم تكن هناك مشاركة في نفس المشاريع.

هذا وإن من أعظم ما يعين المرء على حسن الاختيار: معرفة المرء لنفسه ابتداءً، فليس الاختيار مبنيًّا على الأحلام والأوهام، وإنما على معطيات الواقع وما أنت عليه وما تأمل أن تكون عليه؛ مع وجود السعي الحقيقي لتحقيق هذا الأمل.

٤ ـ الصفات التي يقوم عليها الاختيار:

إن الميزان الأساسي للاختيار هو: الدين والخُلُق، وهو معيار عظيم جامع لصفات خيرية شتى.

ومن أبرز ما يحدد التدين:

أ ـ الالتزام بالفرائض؛ وخاصة الصلاة:

الذي يفرّط في ركن من أركان الإسلام ويترك الصلاة إلى أن يخرج وقتها عمدًا أو تهاونًا وكسلًا قد يفرط فيما هو أقل من ذلك، ولا مجال للمخاطرة بقبول شريك في الحياة مفرط في الركن العملي الأعظم من أركان الإسلام.

ب ـ بر الوالدين:

وهو من أهم علامات توفيق المرء؛ كما أن من أهم علامات الخذلان: عقوق الوالدين.

ويجب الحذر التام ممن كان مفرطًا في شأن والديه تفريطًا بيِّنًا يدخل في مسمى العقوق، مع العلم بأن هناك حالات استثنائية يكون الأب فيها متعنتًا مع ابنه غليظًا شديدًا فظًّا، وأحيانًا يكون معاديًا لتوجهه الإسلامي المحافظ، فهنا لا عبرة بغضب الأب فيما لا يد للابن فيه، مع العلم بأن الله تعالى قد أوصى بصحبة الوالدين بالمعروف ولو كانا مشركين داعيَين ابنهما إلى الشرك مجاهدَين له في ذلك.

ج ـ اجتناب الكبائر، والبعد عن الفواحش.

د ـ الخُلُق الحسن:

قد يوجد إنسان محافظ على الصلوات وظاهره التدين، ولكنه يكون سيئ الخلق، متكبرًا مستعليًا، وهذا بلا شك يدل على وجود خلل في تدينه، فالخلق من الدين، ومنشأ الخلل عند هذا إما من سوء الفهم للشريعة، أو بتغلغل شيء من النفاق في القلب، أو غير ذلك.

وكيف يُقاس الخلق؟

هناك جوانب متعددة للقياس، وسأذكر في العنوان التالي بعض وسائل ذلك، غير أن من أولويات النظر في

قياس الخلق أن يُبحث في جانب الكِبر والتواضع، فهما مفتاحان لمعرفة كثير من الخصال الأخرى؛ لأن لهما توابع ولوازم كثيرة في الحياة اليومية والتعاملات.

وهذا ومما ينبغي الانتباه إليه في موضوع الاختيار:

إدراك ما يمكن إدراكه ومعرفته من شخصية الطرف الآخر، مما يظهر في تعامله مع الآخرين وفي شؤون الحياة بشكل عام؛ وسبب ذلك أن الحياة اليوم أصبحت ذات تعقيد كبير، كما أن نفوس الناس ونفسياتهم صارت متباعدة ومختلفة؛ إذ أسهمت عوامل خارجية في تكوين أفكارهم وشخصياتهم ورؤاهم، ومن أبرزها شبكات التواصل الاجتماعي.

إلا أنني أنبه إلى ضرورة الحذر من المبالغة في قضية الشخصيات وأنماطها؛ حتى تصبح هي المعيار الأساسي للاختيار، فالتوافق في الشخصيات ليس كل شيء.

كيف أقيس صفات الطرف الآخر في الدين والخلق والشخصية؟

بعد التأمل ومراجعة بعض المتخصصين خرجتُ بأربع وسائل للوصول إلى صفات الطرف الآخر وقياسها، مع العلم بأن هذه الوسائل الأربع يجب أن يكون بينها تكامل، ولا ينبغي أن تنفرد واحدة منها بالقياس الكافي، فبعضها يُعد وسيلة أولية فقط:

الوسيلة الأولى: التعرف على الملامح الأولية لتفكير الطرف الآخر واهتماماته عبر صفحاته في وسائل التواصل (وسيلة غير كافية):

من الجيد أن يلقي الخاطب أو المخطوبة أو من يفكر في الخطبة نظرة فاحصة على صفحات الطرف الآخر في شبكات التواصل، وهذه الخطوة لا تحتاج إلى توصية منّي؛ لأنها واقعة بالفعل، ولكن أود التنبيه إلى أن البعض قد ينشئ صفحات جديدة لنفسه قبيل الخطبة بغرض التجمّل والمثالية.

كما أن مما ينبغي التنبه له أن التميز العقلي والفكري والعلمي للشخص لا يعني بالضرورة أنه زوج ناجح أو زوجة ناجحة.

فلا تجعل مقياس اختيارك للزوجة أو الزوج مدى تميز كتاباته في شبكات التواصل أو كونه مدرسًا أو مفكرًا أو مؤلفًا فقط؛ فهناك معايير أخرى أكثر أهمية سبق ذكرها.

ولكن الفائدة من الفحص في شبكات التواصل هو استبعاد الزواج فيما لو كان هناك اختلاف حاد يصعب التواؤم معه في العقائد أو المواقف السياسية والفكرية ونحو ذلك، كما أن من الفوائد كذلك أَخْذ صورة أولية عن الطرف الآخر.

الوسيلة الثانية: اكتب تعريفًا بنفسك يشمل الأسئلة التالية:

ما اهتماماتك؟ وما أهدافك؟ وما الخطوط الحمراء لديك؟ وما تصوراتك عن الحياة الزوجية؟ وعن الحياة بشكل عام؟

والفائدة من هذا التعريف **أمران**:

الأول: أن تعرف ماذا تريد بالضبط.

الثاني: أن ترسله للطرف الآخر بعد تجاوز الخطوات الأولية المؤدية للارتياح تجاهه.

الوسيلة الثالثة: الأسئلة الموجهة للطرف الآخر:

ينصح بعض المتخصصين[1] بإرسال مجموعة من الأسئلة إلى الطرف الآخر للجواب عنها، وهذه الأسئلة تحدد وتقيس المعايير التي سبق ذكرها للاختيار، ويمكن تقسيمها لعدة دوائر رئيسية:

أ ـ أسئلة عن التصور العام للحياة:

ومن الأسئلة الممكن طرحها في هذا الباب:

ما أهم المبادئ في حياتك والتي تكوّن تفكيرك؟

ما أهدافك في الحياة؟

---

(١) د. عبد الرحمٰن ذاكر الهاشمي، وكثير من مضامين الأسئلة مستفاد منه.

ما الخطوط الحمراء لديك؟

من أكثر من تتابعهم من العلماء والمفكرين؟ وماذا يعنون لك؟ ولا يعني هذا السؤال ولا يلزم منه استبعاد من تختلف معه فكريًّا، وإنما القصد أنه يجب إدراك أن الاختلافات الفكرية ـ أحيانًا ـ قد تكون سببًا من أسباب الانفصال؛ فكن على بيّنة منها ثم حدد إلى أي مدى يمكنك التعايش معها.

ب ـ أسئلة عن التدين والخلق:

ما قيمة الحلال والحرام في حياتك؟

هل تنام عن الصلاة المفروضة؟

هل تتعامل بالربا؟

ما قيمة بر الوالدين وصلة الرحم بالنسبة لك؟

ما تعريفك للتكبر؟ والتواضع؟ وما موضعك منهما؟

هل تمارس الكذب لقضاء حاجاتك ومعاملاتك المهنية والمالية؟

ج ـ أسئلة عن الطباع:

كيف تتعامل مع أخواتك؟ ما أكثر ما تُعرَف وتوصف به في مجلسك بين الناس؟

وأيضًا: ما موجبات الغضب لديك؟ وإلى أي درجة يصل بك الانفعال؟

د ـ أسئلة عن تصور الحياة الزوجية:

وهنا أسئلة من مثل: ما نظرتك للمرأة؟ والاختلاف بين أدوار الجنسين؟ ما نظرتكِ للرجل؟

ما معنى القوامة في نظرك؟ ما حقوق المرأة التي تؤمن بها وحقوق الرجل؟

ماذا إن تعارض رأيي ورأيك؟ ماذا لو صدر مني خطأ في شيء أمرتني به؛ ماذا يحصل؟

ما قيمة الأولاد لديك؟ ومتى تفكّر في الإنجاب؟

ما المحظور وما المباح بالنسبة لك بشأن حفل الزفاف؟ كيف سيكون نمط الحفل؟

وقد يقول قائل: إن هذه الأسئلة تعجيزية ومثالية ولا يمكن تطبيقها، والجواب أن من يرى نسبة الطلاق وحجم المشاكل والاختلافات يدرك ضرورة مثل هذه الأسئلة.

وينبغي التنبيه إلى أنه ليس المطلوب أن تكون كل الإجابات إيجابية ١٠٠٪ ولكن الأسئلة المذكورة مهمة جدًّا، فعلى الأقل تكون أغلب إجاباتها مناسبة.

ومن أفضل وسائل إرسال هذه الأسئلة: البريد الالكتروني.

الوسيلة الرابعة: السؤال عن الشخص عبر المعارف المقربين منه:

وهذه الوسيلة مكملة لموضوع الأسئلة لضمان المصداقية من أطراف أخرى.

٥ ـ النظرة الشرعية:

لستُ هنا بصدد الحديث عن أحكام النظرة الشرعية، ولا عما ينبغي أن تفعله وقتها، وإنما الذي أريد قوله أن الشرع كما أكد على ضرورة التدين في الاختيار، فقد أرشد كذلك إلى أهمية النظر قبل الزواج للخاطب.

وهذه القضية في غاية الأهمية، ومن يتهاون فيها أو في نتائجها فربما يندم كثيراً، فلا بد قبل أن تُقدم على تتميم خطوات الزواج العملية من الخطبة الرسمية والمهر ونحو ذلك أن تكون مرتاحاً لاختيارك نفسيّاً وبصريّاً بعد ارتياحك من جهة الدين والخلق.

وقد أخرج الإمام الترمذي رحمه الله تعالى من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**». قال الترمذي: «ومعنى قوله: (أحرى أن يؤدم بينكما) قال: أحرى أن تدوم المودة بينكما»[1].

٦ ـ تكاليف الزواج:

لا شك أن من أصعب التحديات التي تواجه الشباب الراغب في الزواج: مشكلة التكاليف المالية، المتمثّلة في المهور ومكان الاحتفال، والوليمة، والمتطلبات والمستلزمات

(١) جامع الترمذي (١٠٨٧) وقال: هذا حديث حسن.

الأخرى المتعلقة بالزوجة وليلة الزواج، هذا بالإضافة إلى تكاليف السكن والتأثيث وتوابع ذلك.

في حين أنَّ الأمر في السابق لم يكن بهذه الصورة المعقدة؛ سواء من الناحية المالية أو الاجتماعية، مما كان أثره عدم وجود مشكلة اجتماعية ضخمة اسمها: الزواج والعنوسة والطلاق.

ولأن هذه المشكلة تنبع من ثقافة مجتمعية واسعة نتيجة مؤثرات ثقافية وانعكاسات لتعقد الحياة بشكل عام؛ فإن الشباب لن يستطيعوا تجاوز الأزمة أو الخروج منها بشكل فردي، بل يجب أن يتم ذلك عبر تغيير المفاهيم وقلب الموازين؛ من خلال بث ثقافة مضادة لهذه العادات من قبل الشباب الواعي من الجنسين، ولا بد من تقديم نماذج عملية موثقة يُحتَسَب في إظهارها بالفيديو لأجل تصحيح الخطأ وتقويم السلوك، وخاصة لو كانت الزوجة هي التي تسعى في ذلك، فأنا أعرف أن كثيرًا من الشباب لا يهمهم أن يكون الزواج ضخمًا أو مشهودًا من القاصي والداني، ولكن كثيرًا من البنات وأمهاتهن يتعنتن في الشروط والمعايير، والأمل في بنات الجيل الصاعد ـ الواعيات منهن ـ بكسر هذه الحواجز بالإصرار والعزيمة.

كما أن جزءًا كبيرًا من الحل يكمن في وعي أولياء

الأمور بضرورة التيسير على الخُطاب، حتى لو وُوجِهوا باعتراضات من داخل العائلة والأسرة، فيجب أن يُؤخذ الأمر على محمل الجد، وإلا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

ثالثًا: مرحلة ما بعد الزواج:

الذي يهمني في هذا الكتاب هو التركيز على المرحلتين السابقتين؛ لأن النجاح فيهما يؤدي إلى النجاح فيما يليهما بإذن الله تعالى، ولذلك فلن أفصِّل فيما يتعلق بهذه المرحل، وسأكتفي ببعض الإشارات:

١ ـ لا تنتظر نتائج مبكّرة:

بعد خوض غمار الحياة الزوجية وتفاصيلها قد تطرأ أمور لم تكن في الحسبان، وهذه طبيعة كل التجارب الجديدة التي يخوضها الإنسان، فلا ترفع سقف التوقعات في البدايات، ولا تظنن ـ بدخولك الحياة الزوجية ـ أنك قد ولجت إلى جنة ملؤها السعادة والهناء التامّين.

نعم، صحيح أن الزواج من أهم التجارب وأجملها في هذه الحياة، ولكن لندخله باعتباره تجربة إنسانية فيها الحلو المر، ولنكن على وعي تام بأن ثمارها قد لا تتحقق مبكرا، وقد لا يجد الإنسان في اختياره كل ما يؤم؛ لأن ما ذُكر من معايير الاختيار والرفض والقبول إنما هي مقاربات وأسباب تؤدي إلى حُسن النتائج في الغالب بإذن الله، ولكن الخطأ في

القياس وارد، والتصنّع بالمظاهر موجود، ولذلك نحن بحاجة مع كل تلك الأسباب إلى دعاء صادق واستعانة بالله ﷻ وطلب التوفيق والسداد منه.

ثم نصبر ونصبر حتى نتجاوز المشكلات الطارئة، وكم هلكت بيوت بسبب العجلة والغضب، و«**ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[١].

٢ ـ استنر بالنصوص الشرعية المتعلقة بالحياة الزوجية:

من يتتبع النصوص الواردة في الزواج والأسرة في كتاب الله أو سنة رسوله سيجد أن في تلك النصوص منجمَ علمٍ يحتوي كنوزًا غالية، في تضييعها غبن كبير والله.

وهذه النصوص الشرعية من القرآن نجدها في سورة البقرة في آيات الطلاق، وفي سورة النساء، وفي سورة الطلاق، كما نجد كثيرًا من النصوص النبوية العملية والقولية في «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» وكتب السنن.

ونصيحتي الخاصة: مراجعة هدي النبي ﷺ مع نسائه وزوجاته؛ ففيه بركة كبيرة، وإرشاد دقيق، وقواعد مهمة.

---

(١) صحيح البخاري (٦١١٤).

(١٠)
الهداية والاستقامة

إن من أبرز الأسئلة التي تشغل الجيل الصّاعد سؤال: كيف نعرف الحق عند اختلاف العلماء والدعاة والتيارات والتوجهات؛ سواء من جهة الاختلاف في العقائد، أو الفتاوى، أو من جهة الاختلاف في الآراء والأفكار المعاصرة، كيف نعرف الحق والصواب من بين هذه الأمور الملتبسة؟

وقد قدمتُ جزءًا من الجواب عن هذا السؤال في موضوع: مشكلة القدوات، كما أن الجواب يمكن أن يُستفاد ـ كذلك ـ من جهة علم أصول الفقه؛ لأن علماء الأصول يهتمون ببيان موقف المقلد والمستفتي من المجتهدين والمفتين، وكلامهم في ذلك مفيد جدًّا، فمن المهم أن يكون هناك تكامل بين هذه المصادر للجواب عن هذا السؤال.

إلا أنني في هذه الفقرة سأتحدث عن بُعد آخر، وزاوية نظر مختلفة نوعًا ما، فأنا أتحدث هنا عن التوفيق الإلٰهي الذي يقود الإنسان ويهديه إلى الصواب في محال الاختلاف.

فالإسلام يقرر بشكل واضح: أن الهداية ليست نتيجة لمجرد المعرفة؛ بمعنى أن وجود المعرفة الصحيحة لا يستلزم بالضرورة وجود من يلتزم بهذه المعرفة ويسير على ضوئها؛ ولأجل ذلك كان على من يريد أن يبصر الحقيقة ويهتدي بها أن يجمع إلى عامل المعرفة غيرَه من العوامل التي تعين على بلوغ الحقيقة، وهي ما سأذكر شيئًا منها في هذه الفقرة بإذن الله تعالى.

وهذه القضية في غاية الوضوح، فإن كثيرًا من أمم الأنبياء السابقين الذين كذبوا بهم، ومن أمة النبي ﷺ لم يكن ينقصهم معرفة الحق، وإنما افتقدوا التجرد والاتباع والانقياد لله ﷻ، والتّسليم لحكمه وحكم رسوله ﷺ، ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]، وذلك لأن بلاغه كان الغاية في البيان، والحق الذي معه في غاية الوضوح، ومع ذلك لم يستجب كثير من الناس، فالذي منعهم هو الهوى، والهوى صورٌ كثيرة جدًّا.

وقد كنتُ ـ قديمًا ـ كتبتُ بحثًا مختصرًا بعنوان «مفاتيح

البصيرة عند النوازل والفتن» في عين هذا الموضوع، وسأقتبس منه بعض القول في المفاتيح التي تُفتح بها أبواب الهداية والتوفيق الإلٰهيَّيْن، غير أن أول ما يجب أن يُبدأ به للوصول إلى الهداية هو التخلص من موانعها ومعوقاتها، فهذا أمر في غاية الخطورة.

المفتاح الأول: التخلّص من موانع الهداية:

هل هناك موانع للهداية؟ وهل يمكن أن يطلب الإنسان الإيمان فيحرَم منه بسبب أعمال عملها؟ وهل يقع أن يقرأ إنسان كتاب الله تعالى فيحال بينه وبين الاقتباس من نوره وفهم آياته؟

الجواب في كل ذلك: نعم، نعم!

ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]؟ وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٩]، وقال: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]، وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا، وسأذكر شيئًا من هذه الأعمال المؤثرة على القلوب إغلاقًا وصرفًا ونفاقًا؛ مع أدلتها من كتاب الله جل وعلا:

أولًا: الظلم والتكبر والترفع على الناس والإفساد في

الأرض، والدليل على كونها من أسباب الضلال وموانع الاهتداء: قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥]، وقوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وليس وبال الظلم والتجبر والطغيان منحصرًا في المتلبسين بهذه الأعمال وحدهم، بل إنّه متعدٍّ إلى من يقاربهم ويخالطهم ويركن إليهم؛ بمعنى أن الإنسان لكي يبتعد عن أن يحرم الهداية بسبب الظلم، فلا يتلبسنّ به ولا يقتربنّ من أصحابه؛ ولذلك قال الله ﷻ في سورة هود: [هود: ١١٣]، وكذلك قال الله ﷻ لرسوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، وكذلك قال الله ﷻ لرسوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤]؛ أي: لو فعلت، ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥].

ثانيًا: التهاون في أوامر رسول الله وتعمد مخالفتها، ويدخل في ذلك إنكار السُّنَّة والتشكيك فيها، والتقليل من مكانتها؛ وذلك أن الله تعالى قال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، والهاء في (أمره) تعود إلى النبي ﷺ. فالله تعالى يحذرنا من أن تصيبنا فتنة إن نحن خالفنا أمر رسوله ﷺ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره»[1] عن هذه الآية: «أي: فليحذر وليَخْش من خالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا أن تصيبهم فتنة؛ أي: في قلوبهم مِن كُفرٍ أو نفاق أو بدعة». وهذه قضية خطيرة يغفل عنها المُشكّكون الطعّانون في سُنّة النبيّ ﷺ، بينما يُدركها ـ غايةَ الإدراك ـ سادةُ المسلمين وعظماؤهم، ويبرز ذلك بوضوح في موقف أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مع فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في **قصة الميراث**، وذلك حين جاءت فاطمة رضوان الله عليها إلى أبي بكر؛ تطلب ميراثها من أبيها رسولِ الله ﷺ، وكان عند أبي بكر نصّ من النبيّ ﷺ أن الأنبياء لا يورثون، وأن ما تركوه من مال فهو صدقة، فلم يعطها إياه لأجل ذلك. ولولا أنّه رأى في نفسه أن السُّنَّة حُجّة ملزمة ومصدرٌ تشريعي؛ لما تمسّك بهذا القرار مقابل إصرار فاطمة رضوان الله تعالى عليها، ثم قال ـ وهذا موضع الشاهد من القصة ـ: «**إني أخشى إن تركتُ شيئًا من أمْره أنْ أزيغ**». والقصة في صحيحي البخاري[2] ومسلم[3]. فإذا كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخشى من الزيغ بسبب تركه شيئًا من الأوامر النبوية فكيف بمن دونه؟

---

(١) (٦/ ٩٠).

(٢) (٣٠٩٣).

(٣) (١٧٥٩).

ثالثًا: تراكم الذنوب على المرء حتى يسوَدّ قلبه فيعمى عن رؤية الحق، **قال الله**: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]، وقد أخرج الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت، حتى تعلو قلبه، وذاك الران الذي ذكر الله في القرآن**: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]. وقال الترمذي عن هذا الحديث[١]: حسن صحيح.

وعند التأمل في هذا المعنى ـ وهو معنى تأثر القلب بسبب الذنوب ـ فإن المؤمن العاقل يخشى من التهاون في الذنوب؛ لأن آثارها تتراكم في القلوب، حتى تشكل غلافًا وحجابًا، ما لم يصقل المرء قلبه بالتوبة والاستغفار.

رابعًا: إخلاف العهد مع الله تعالى والسير على طريق الكذب، قال الله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٧].

خامسًا: رد الحق بعد استبانته، كما قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

---

(١) (٣٣٣٤).

فهذه بعض الأعمال التي لا تتم الهداية إلا بالتخلّص منها؛ فلنحرص أشدّ الحرص على البُعد عنها، وعلى التوبة والاستغفار إن وقعنا في شيء منها، وإذا خلا القلب من هذه الموانع صار مَحلًّا صالحًا للبصيرة النافذة التي لا يحول بينها وبين الحق عَتَمة ولا غَلَس.

المفتاح الثاني: التعلق والاعتصام بالله والإنابة إليه وتحقيق التوحيد قلبًا وسلوكًا، والتعلق والبعد التام عن الشرك بكل صوره:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، والمراد بالظلم في الآية: الشرك؛ كما دل على ذلك حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه إذْ قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين فقالوا: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال النبيّ ﷺ: «**ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:** ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]». أخرجه البخاري(١). وهذا الحديث مع الآية يدل على أن من يجتنب الشرك بحيث لا يخالط إيمانه، فإنه يكون من المهتدين.

---

(١) (٣٤٢٩).

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

المفتاح الثالث: الإنابة:

الإنابة هي: الرجوع إلى الله والإقبال عليه، فمن وجدته دائم الرجوع إلى الله، منجذبة دواعي قلبه إليه، مقبلًا بظاهره وباطنه إلى مولاه، فإنه عبدٌ منيب، و﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

فمن أراد هداية الله وتوفيقه وتسديده فليكن دائم الرجوع إليه، إن أخطأ فليبادر بالاستغفار، وإن تشعب قلبه في أودية الدنيا فليسارع بتجديد إيمانه، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

وما أخسر صفقة المنشغل بدنياه عن الإنابة إلى ربّه! إنها خسارة الانتفاع بآيات الله؛ فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣].

وتذكّر دائمًا أن ثمرة الإنابة الهداية؛ قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

قال البغوي رحمه الله في تفسير قول الله: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣]: «يرجع إلى الله تعالى في جميع أموره».

المفتاح الرابع: التمسك بالقرآن:

إن الفرح بالقران، وتلاوته بالليل والنهار، والتدبر في آياته، والوقوف عند حدوده= لمن أكبر أسباب الاهتداء ومفاتح البصيرة، والأدلة من كتاب الله وسُنَّة رسوله على ذلك كثيرة؛ **منها**:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]

٢ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

٣ ـ وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به، كان على الهدى، ومن أخطأه ضل**». أخرجه مسلم[1].

فمن أراد أن يكون مهديًّا فليكن لكتاب الله تاليًا، وبه مستمسكًا، ولآياته متأملًا متدبرًا، فإذا رُزِق الخشية مع ذلك، والتأثر بآيات القران فقد أخذ من الهداية بأوثق سبيل؛ قال الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزمر: ٢٣]

---

(١) (٢٤٠٨).

المفتاح الخامس: المجاهدة في الله:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»[١]: «ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الذين جاهدوا فيه أنه يهديهم إلى سبل الخير والرشاد، وأقسم على ذلك بدليل اللام في قوله: لنهدينهم﴾». اهـ.

وهذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] هي أعمّ من مجرّد مجاهدة الكفار بالسلاح، فالذي تحيط به الشهوات المُحرّمة وهو يجاهد نفسه ليجانبها لا لشيء إلا لله، فإنه داخل في الآية، والذي يرى الجهل منتشرًا بين المسلمين فيجاهد نفسه ليتعلم شرع ربه بنية تعليم الناس دينهم، داخل في هذه الآية، وقِس على ذلك.

قال النسفي رحمه الله: «﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾: أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول؛ ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين»[٢] فمن أراد الهداية والبصيرة، فلا يكن كسولًا ضعيفًا مستسلمًا لأهوائه، منقادًا للشيطان، ولكن ليكافح ويجاهد في الله ولله، فقد أقسم ربنا سبحانه على هداية من هذه صِفَتُه.

---

(١) (٦/ ٤٧١).

(٢) تفسير النسفي (٣/ ٢٦٤).

المفتاح السادس: الاعتصام بالله سبحانه وتعالى:

هل سبق أن تأملت قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١]؟

أليس يدل دلالة واضحة على طريق من أوثق طرق الهداية والبصيرة والتوفيق؟

إن المرء الذي تراه كلما ضاقت به الأمور يجد السَّعة في بث شكواه إلى الله، وكلما كثر عليه الأعداء لم يجد منهم ملجًا إلا إلى الله، وكلما التبست عليه الأمور، واختلطت أمامه السبل، توكل على الله في طلب الهدى واستبانة الحق؛ فإنه هو الموفق المهدي المسدد؛ نتيجة اعتصامه بالله تعالى.

«فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعُدّة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد وطريق السداد وحصول المراد».اهـ[1].

وأصل العصم: المنع، فكل مانع شيئًا فهو عاصمه، والممتنع به معتصم به؛ ولذلك قيل للحبل: عصام، وللسبب الذي يتسبب به الرجل إلى حاجته: عصام[2].

ومما جاء في القران مؤكدًا ارتباط الهداية بالاعتصام:

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٨٦).

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره (٥/ ٦٣٥).

قول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

المفتاح السابع: طلب الهداية من الله تعالى وكثرة الدعاء بذلك:

لا تصح صلاة امرئ إلا بطلبه الهداية من الله؛ لأن قراءة سورة الفاتحة فرض، وفيها هذا الطلب: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾، ونحن نقرؤها ـ فعلًا ـ في كل صلاة؛ غير أنّا نتفاوت في صدق الافتقار إلى الله في طلبنا الهداية منه.

وقد جاء في الحديث القدسي الصحيح قول الله تعالى: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**»(١). ومن عجيب منزلة هذا الطلب وصية النبي ﷺ لرجل من خيار هذه الأمة بأن يدعو الله سائلًا إياه الهداية، فقد قال علي رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «**قل: اللهم اهدني وسددني**». واذكُرْ بالهدى هدايتك الطريق، وبالسداد سداد السهم)(٢). هذا مع أن عليًّا مشهودٌ له بأن الله يحبّه.

وقد كان رسولنا ﷺ يستهدي بالله ويوصي خير أصحابه بالاستهداء به؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٥).

كان يقول: «**اللَّهُمَّ إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢١).

خاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى على تيسير هذا الكتاب، وأسأله أن يتقبله مني وأن ينفع به ويبارك فيه، ثم أشكر من ساهم في شيء من المراجعة أو التدقيق أو التفريغ لبعض المواد، وأقول لقراء الكتاب من الجيل الصاعد ومن يليهم ممن سيكونون في المستقبل جيلاً صاعداً: «**لا يستهيننّ أحد منكم بنفسه، ولا يتركنّ حمل مسؤولية الأمة لغيره، وابدؤوا من اليوم بالعناية بأنفسكم، فالأيام تمضي، والمستقبل قريب، والعمر قصير، والأمة تنتظركم**».

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحمد بن يوسف السيد

٢٥ جمادى الأولى ١٤٤٠

٣١ يناير ٢٠١٩